مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ص147–ص206 ، 2002

منهج تحليل النصوص في السيرة النبوية

نزار عبد القادر ريان*

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة

ص.ب : 108 – فلسطين

METHODS OF ANALYSING THE SIRA TEXT

ملخص إنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد.

فقد قام الباحث في هذه الدراسة" منهج تحليل نصوص السيرة النبوية" ببيان طرق دراسة السيرة التحليلية، معتمدًا على ما أورده العلماء في هذا الباب، مستفيدًا من كتب اللغة المتفننة في تحليل الألفاظ وبيان معانيها، ومقتبسًا من كلام الأئمة الشراح لكتب السيرة والحديث النبوي الشريف، ثم قام بتطبيق ما كتب على الهجرة النبوية المشرفة، وأمله أنْ يفتح لنفسه بابًا من شقين:

الأول: محاولة كتابة السيرة بالخبر المقبول مخرجًا.

والآخر: محاولة تحليل السيرة ما أمكن.

ونص الباحث في هذه الدراسة على شروط يراها لتحليل النص واردة، وطرائق مهمة في هذا الفن.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

ABSTRACIT The researcher has explored the methods of studying the analytical Sira depending on the antecedent scholars.

In addition to benefiting from specialized language references in semantics, the researcher extracted much from Muslim scholars of Sira and Hadith. He then applied this to the Prophet's Hijra, intending to:

a. write the Sira according to authenticated reporting.
b. analyse Sira.

The researcher also discussed some of the necessary conditions for texts analysis.

* أستاذ مشارك بقسم الحديث .

المطلب الأول
الدراسة التحليلية
التأصيل

يقصد بالسيرة التحليلية

"تحليل نصوص السيرة النبوية تحليلاً مفصلاً، والوقوف على المعاني المستفادة منها، والأحكام المستنبطة من نصوصها".

وتحليل النصوص الواردة في السيرة النبوية يتم عبر هذه الوسائل:

1. الوقوف على أصل وضع الكلمة.
2. الوقوف على استعمالات العرب للكلمة.
3. استعمال الكلمة في القرآن الكريم.
4. استعمال الكلمة في السنة النبوية.
5. تحديد المعنى المقصود للكلمة المدروسة في سياقها.
6. النظر في كلام الأئمة في هذا النص.
7. الإغراب في التأويل والتحليل.
8. تنزيل النص على الواقع.

الشرح

1. **الوقوف على أصل وضع الكلمة**

لا يمكن لباحث مهما تطاول باعه أن يقف على المعنى الدقيق لكلمة دون أنْ يتعرف على أصل وضعها، ولا يتسنى له ذلك إلا عبر النظر في هذه المباحث:

1. **الاشتقاق الأكبر،** وهو من وضع ابن جِنِّي[1] رحمه الله.

ويقصد به تقليب الثلاثي في وجوهه الستة، قال ابن جِنِّي:" هو أنْ تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا، تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإنْ تباعد شيء من ذلك عنه، رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[2].

ومعنى تقاليب الثلاثي: أنْ تركب من الكلمة ذات الحروف الثلاثة الموزونة على" فعل" ست تراكيب، مثل: فعل وفلع، وعلف وعفل، ولفع ولعف.

ويسمي ابن جِنِّي هذه التقاليب بـــ" **الاشتقاق الأكبر**".

ومعلوم سبق الخليل بن أحمد رحمه الله لابن جنِّي في تقليب الكلمة في وجوهها الستة، لكن" ينبغي ألا نخلط هنا بين الاشتقاق الأكبر، وطريقة التقليبات الواردة في معجم" العين" للخليل بن أحمد[3]، ومَنْ نَهَجَ نَهْجَه، كابن دُرَيْدٍ، فالتقليبات هناك طريقة للإحصاء[4]، ولم يحاول الخليل ولا غيره من أصحاب المعاجم، أنْ يرجعوا تقاليب المادة المختلفة إلى معنى واحد، كما فعل ابن جنِّي، ولكن لعل فكرة كتاب" العين" هي التي أوحت إلى ابن جِنِّي، بموضوع الاشتقاق الأكبر"[5].

والأمثلة التي ساقها ابن جِنِّي كثيرة، يسوق الباحث منها مادة" **ج ب ر**" وقد أورد ابن جنِّي مفردات متعددة مشتقة من هذه المادة وتقليباتها، وهي: **جَبَرْتُ**، و**الجَبْرُ**، **ومُجَرَّبٌ**، **والجَراب**، **والأبْجَر**، و**البُجْرَة**، **والبُرْج**، **والبَرَجُ**، ورَجَّبت، **ورَجَب الشهر**، و**الراجبة**، **والرَّبَاجيّ**، فهذه قائمة كلمات مشتقة من مادة " **ج ب ر**" وتقليباتها، لا تكاد تلتقي معانيها عند الناظر نظرة عجلى غير متأملة، لكن ابن جِنِّي يعرضها فلا يملك متأمل إلا أنْ يحمد له صنيعه ويقره عليه.

ويمثل ابن جنِّي بمادة " **ج ب ر**" ويقول إنها حيث وقعت" وقعت للقوة والشدة، منها: **جَبَرْتُ** العَظْمَ والفقيرَ، إذا قويتهما وشددت منهما، و**الجَبْرُ**: المَلِك: لقوته وتقويته غيره، ومنها رجل **مُجَرَّبٌ**: إذا جَرَّسَتْه الأمور ونَجَّدته، فقويت مُنَّته، واشتدت شَكِيمته، ومنه: **الجَراب**؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حُفِظَ الشيء وروعي، اشتد وقوي، وإذا أغفل وأهمل، تساقط ورَذِيَ، ومنها: **الأبْجَر** و**البُجْرَة**، وهو القويّ السُّرَّة، ومنه قول علي رضي الله عنه: إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَري، تأويله: همومي وأحزاني، وطريقه: أنَّ العُجْرَةَ كل عُقْدة في الجَسَد، فإذا كانت في البطن والسرة فهي البُجْرة، والبَجْرَة تأويله: أنَّ السُرَّة غَلُظَت ونتأت فاشتد مَسُّها وأمرها، ومنه **البُرْج** لقوته في نفسه، وقوة ما يليه به، وكذلك **البَرَجُ** لنقاء بياض العين، وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف، ومنها **رَجَّبت** الرَّجُل إذا عَظَّمته وقويت أمره، ومنه: **رَجَب**؛ لتعظيمهم إياه عن القتال فيه،

وهو شيء تسند إليه لتقوى به، و**الراجبة:** أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها، ومنها **الرَّبَاجِيّ** وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله، تأويله: أنه يعظم نفسه، ويقوي أمره، ومن ذلك تراكيب: ق س و، ق و س، و ق س، و س ق، س و ق، وأهمل س ق و، وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع[6].

ولا يدعي ابن جِنِّي:" أنَّ هذا مستمر في جميع اللغة"[7] وإنْ أمكن أنْ يُرَدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[8].

ويلزم دارس السيرة النبوية دراسة تحليلية أنْ يفقه الاشتقاق الأكبر، ويحسن الاستفادة منه، حتى يستطيع أنْ يقف على المعنى المعني من الكلمة المدروسة.

أ. **الاشتقاق الكبير**، وهو الاشتقاق الذي يكثر من استعماله ابن فارس[9] رحمه الله في" معجم مقاييس اللغة".

ويقصد أئمة اللغة بالاشتقاق الكبير إرجاع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات، قال ابن فارس في الصاحبي:" أجمع أهل اللغة إلا من شَذَّ عنهم، أنّ للغة العرب قياسًا، وأنَّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأنَّ اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأنَّ الجيم والنون تدلان أبدًا على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأجَنَّه الليل، وهذا جَنين، أي: هو في بطن أمه أو مقبور، وأنَّ الإنس من الظهور؛ يقولون: آنَسْتُ الشيء أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم، وجهله من جهل"[10].

والفرق بين الاشتقاق الكبير والأكبر، أنَّ الاشتقاق الأكبر يعني النظر في تقليبات الثلاثي في الوجوه الستة، والكبير يعني: إرجاع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات.

وهذا المثال الذي ساقه ابن فارس رحمه الله" أنَّ اسم الجن مشتق من الاجتنان..." يدل على ما يريد ويؤكده.

قال الأستاذ عبد السلام هارون:" وابن فارس لا يعتمد اطراد القياس في جميع مواد اللغة، بل هو ينبه على كثير من المواد التي لا يطرد فيها القياس"[11].

ومما يساعد في هذا الباب كتاب ابن فارس" معجم مقاييس اللغة" فإنه يورد المادة ثم يتبعها ببيان معناها على ترتيب خاص به مخترع.

وأول ما يشير إليه في معنى المادة، بيان أصل الكلمة، ثم يذكر بعض معانيها لا على سبيل الاستقصاء، وفائدته عظيمة في بيان أصل وضع الكلمات.

كما يحسن الاستعانة في هذه الناحية بكتاب الجمهرة لابن دريد فهو يأتي بأصل وضع الكلمة ويبينه.

وهذا مثال يبين كيف يمكن الوقوف على المعنى المقصود للكلمة من خلال كتاب ابن فارس" معجم مقاييس اللغة"

قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه:" فَذَلِكَ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ – يَهْجُمُ بِمَا أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْفَائِدَةِ فِي الاسْتِكْثَارِ مِنْ **جَمْعِهِ**" يعني: جمع الحديث.

قوله: جمعه، من جمع، والضمير عائد على الحديث، و**جمع الحديث** هدف أهله منذ بداية عصر الرواية، والناظر في أصل وضع الكلمة من حيث اللغة يجد فيها دلالة ما صنع المحدثون رحمهم الله، حين صنفوا الجوامع والمجاميع والمسانيد.

انظر إلى حرف الجيم " **ج**" الوارد في كلمة "**جَمْعِهِ**".

فإن أضفت له حرف الحاء" **جح**" كان "يدل على: عظم الشيء" [12] وبلحوق الدال به: "**جد**" يدل على:"العَظَمَة" فيقال:" جد الرجل في عيني أي: عَظُم" [13] وأنت تستعمل في كلامك جيد جداً، فالآن عرفت أن جداً تعني: عظيماً!.

وبانضمام اللام للجيم" **جل**" تكون: الجلالة، وهي: العظمة" فجَلَّ الشيء: عَظُم، وجُلُ الشيء: معظمه، وجلال الله: عظمته سبحانه، فهل أدركت معنى:﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [14]؟

أما حين تلحقه بحرف الميم" **جم**" فالدلالة تعني:" كثرة الشيء واجتماعه"[15] وللباء أيضاً مع الجيم دلالة فـــ" **جب**" تعني: تجمع الشيء" [16] وكذلك "**جث**" التي تدل على: تجمع الشيء". [17]

فإذا جئت إلى أي كلمة من الكلمات الثنائية السابقة، فألحقت بها حرفاً جديداً، فماذا عساك تلقى؟!

خذ مثلاً جحظ: التي منها " جحظت العين" أي: عظمت مقلتها وبرزت[18]، وجحف: التي تعني: الذهاب بالشيء مستوعباً، [19] وجحل التي منها: الجَحْلُ، وهو: السقاء العظيم [20] وهاك عافاك الله، جحم، وهي: أصل كلمة الجحيم لعظم حرارتها [21] أما جدل، فتعني: استحكام الشيء في استرسال، ولا يكون إلا عن عظمة [22] ومن جدل المِجْدلُ: وهو القصر، فلا بد أنك علمت الآن معنى المِجْدل، تماماً كما يلفظها أهل المِجْدل فهي: القصر، فكيف نترك قصرنا للكلاب تعوي فيه وتبول؟

ثم هاك " **جمع**" فتجده أصلاً يدل على:" **تَضَامِّ الشيء**" [23] ثم أضف لهما حرف اللام" **جمل**" فتجده أصلاً يدل على:" **تجمُّع وعِظَم الخَلْق**" [24] ومنه الجمل: سفينة العرب في صحرائهم.

وأضف لهما حرف الراء" **جمر**" فتجده أصلاً يدل على:" التجمع" [25] فلو أضفت إلى جمر حرف الهاء، فصار "**جمهر**" فيكون منه: الجمهور: وهو شيء متجمع عالٍ" [26]، ولو جئت إلى جَحْفَل، وهي تعني: الجيش العظيم [27] وجدتها من جحف: التي تعني: الذهاب بالشيء مستوعباً [28] وجَحَلَ التي منها: الجَحْلُ، وهو: السقاء العظيم [29] فهل رأيت هذه العائلة؟! إنَّ لك لغة عربية ذات أهل ووشائج، ولكل كلمة منها أسرة كريمة، ونسب عريق.

عود إلى فعل أهل الحديث بسنة رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ضموا الشيء إلى الشيء، فكثر وعَظُمَ، وصار مجموعاً، سامياً عالياً.

فهل يَبْعُدُ أنهم قصدوا ذلك حين سموا كتب الحديث المجموعة بالجوامع، أو المسانيد، وقد علمت معنى سَنَدْتُ الجبلَ: أي ارتقيته وعلوته؟

فهاتان لفتتان

الأولى: عظمة هذه اللغة، فترى كلماتها تخرج من مشكاة واحدة، نور على نور، نسبها واحد، وجذرها أصيل، وأرومتها عريقة، تبدأ بميلاد حرف واحد به يُبتَدأُ.

فبحرف "**الجيم**" بدأت معظم الكلمات الدالات على الكثرة والعظمة كما رأينا، ثم تتوسع الكلمة، تماما كما تنمو الشجرة، أو تكبر العائلة وتكثر، ثم تتضام الحروف إلى الأسرة الكريمة الأولى.

والثانية: عظمة أهل الحديث، وهم يقطعون الفيافي، ويتيهون في الصحاري، ويركبون البحار، ويصعدون الجبال، ويمشون ويجوعون، ويعطشون ويعرون، ويجهدوا ويموتون، وتحيا السنة النبوية المشرفة، عزيزة الجانب، عظيمة الأركان، وارفة الظلال.

ب. **تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.**

قال ابن جنِّي:" هذا غور من العربية لا يُنْتَصَف منه، ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإنْ كان غُفلاً مسهوًا عنه، وهو على أضرب:

منها: اقتراب الأصلين الثلاثيين، كـ" ضَيَّاط وضَيْطَار".

ومنه: اقتراب الأصلين؛ ثلاثيًا أحدهما، ورباعيًا صاحبه، كـ" دَمِث ودِمَثْر" وسَبِط وسِبَطْرٍ، وضَبَغْطَى وضَبَغْطَرَى.

ومنه: الأز والهز، والعَسْف والأسَف، وقَرَم وقَلم، وجَرَفَ وجَلَفَ وجَنَفَ، فجرف الشيء إمالته.

ومنه: العَلْب؛ وهو الأثر، والعَلْم، ومنه العلامة.

ومنه: علز وعلص، والعلز خفة وطيش وقلق يعرض للإنسان، والعِلَّوْص: وجع في جوف الإنسان يتلوى له الإنسان ويقلق منه.

ومنه: الغَرْب، الدلو العظيمة، يغرف بها الماء، وأصلهما غَرب وغرف.

ومنه: جَلَف للقشر، وجَرَم للقطع، ومثله كثير[30].

والوقوف على هذا يعين على معرفة أصل وضع الكلمة، وهذا كله باب معرفة المعاني المرادة للنصوص.

2. **الوقوف على استعمالات العرب للكلمة**

أ. تستعمل العرب الكلمة استعمالات متعددة، لدلالات متعددة، ولا يصح تجاوز ما ألف العرب من لغتهم.

انظر مثلاً كلمة" ظَلَّ" وكلمة" بات"، فكلمة" ظل" تستعمل نهارًا، ولا يقال: ظل ليله قائمًا، وإنما يقال: بات ليله قائمًا، ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [31].

وانظر: كلمة" النصيب، وكلمة القسط" فالنصيب يجوز أن يكون عادلاً، وجائرًا وناقصًا عن الاستحقاق وزائدًا، يقال: نصيب مبخوس وموفور، والقسط: الحصة العادلة"[32].

وانظر: الفرق بين المنع والصَّدِّ، أنَّ الصَّدَّ هو المنع عن قصد الشيء خاصة، ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ [33] أي: يمنعون الناس عن قصده، والمنع يكون في ذلك وغيره، ألا ترى أنَّه يقال: منع الحائط عن الميل، ولا يقال: صده عن الميل؛ لأن الحائط لا قصد له.

وانظر: الفرق بين السخاء والجود، أنَّ السخاء هو أنْ يلين الإنسان عند السؤال ويسهل مهره للطالب، من قولهم: سخوت النار أسخوها سخوًا، إذا لينتها، وسخوت الأديم لينته، وأرض سخاوية: لينة، ولهذا لا يقال لله تعالى: سخي، والجود كثرة العطاء من غير سؤال، من قولك: جادت السماء إذا جادت بمطر غزير، والفرس الجواد: الكثير الإعطاء للجري، والله تعالى جواد لكثرة عطائه[34].

وانظر: الفرق بين الدلو والذنوب، أنَّ الدلو تكون فارغة وملأى، والذنوب لا تكون إلا ملأى، وكذلك الكأس والقدح، فالكأس المملوءة، والقدح تكون مملوءة وتكون غير ذلك[35].

ولا يصح إهمال أي من هذه الاستعمالات عند النظر في معنى كملة واردة في النص المراد تحليله، فينظر الباحث في كل المعاني المستعملة، ثم يقف على المعنى المحدد المقصود.

ب. تسمي العرب الأشياء بأسماء مخصوصة، فلا تتجاوزها، ولا يصح إهمالها عند تحليل النص، وهذه النقطة تشبه سابقتها، غير أنها ألصق بالأسماء من مطلق الكلام.

نظر مثلا ما ورد في وصف البعير مثلاً، لترى كيف لا يسوغ إبدال لفظ مكان آخر:

" فولد الناقة ساعة تضعه أمه: سَلِيل، ثم سَقْب، وحُوار، فإذا استكمل سنة وفُصِل عن أمه فهو: فَصِيْل، فإذا كان في الثانية: فهو ابن مخاض، فإذا كان في الثالثة: فهو ابن لَبُون، فإذا كان في الرابعة واستحق أن يحمل عليه فهو: حِقّ، فإذا كان في الخامسة فهو جَذَع ..." وتمضي الأوصاف حتى" إذا استحكم هَرَمُه فهو كُحْكُح"[36].

وعليه فلا يصح تجاوز كل ذلك وأنت تنظر في النصوص وتحللها، فهل يعقل مثلاً أنْ تقول في كل ما سبق: جمل فحسب!؟

ت. وكذلك في الأوصاف، فلا يصح تجاوز مألوف اللغة وضابطها.

فمثلاً: لا يقال للطريق شارعٌ إلا إذا كان عظيمًا، ولا يقال للباب رتاجٌ إلا إذا كان عظيمًا، ولا يقال للحجر صخرةٌ إلا إذا كان عظيمًا، ولا يقال للجيش فيلقٌ إلا إذا كان عظيمًا، ولا يقال للحائط سورٌ إلا إذا كان عظيمًا[37]، أنظر كلمة سور في القرآن الكريم **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾**[38].

3. استعمال الكلمة في القرآن الكريم

إنَّ مما يعين الباحث في الوقوف على أصل وضع الكلمات، وبيان معانيها، وأوجه استعمالها، نظره في ورود الكلمة في كتاب الله تعالى، فإنه قد تأتي الكلمة في كتاب الله تعالى على أكثر من معنى، وفي هذا إثراء لمن ينظر في نص من نصوص السيرة ويحللها.

ويعتبر كتاب" مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني رحمه الله[39] من أهم المصادر التي تعين على معرفة معاني ألفاظ القرآن الكريم.

ومن هذه المصادر أيضًا كتاب" قاموس القرآن، أو: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" للحسين بن محمد الدامغاني رحمه الله[40] فإنه يجمع في كتابه معاني الكلمة الواحدة في القرآن مفرقة على الآيات، وهو في هذا الباب من السابقين.

ومن الكتب الجامعة في هذا الباب كتاب" بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي رحمه الله[41].

وهاك كلمة" **فصل**" وكلمة" **قضى**" لتوضيح المسألة وبيانها:

يدل" أصلها على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلاً" [42] أي: مَيَّزْتُه.

قال الراغب في المفردات:" الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر، حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل: المفاصل، الواحدُ مفصل، وفصل القوم عن مكان كذا، وانفصلوا: فارقوه**﴿وَلَمَّا فَصَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾** [43]وقوله :

﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [44] أي: اليوم يبين الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم.

وفصل الخطاب: ما فيه قطع الحُكم، وحكم فيصل.

والمفصَّل من القرآن: السُّبع الأخير؛ من الحجرات إلى الناس، وذلك للفصل بين القصص بالسور القصار"[45].

قال الدَّامَغاني: ووجوه الكلمة في كتاب الله تعالى أربعة [46]:" البيان، والبينونة، والقضاء، والفطام.

فوجه منها: التفصيل بمعنى البيان، منه قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[47] ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[48].

والثاني: البينونة: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾ [49] أي: بائنات بعضها من بعض، ومنه:﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِي**﴾ [50].

الثالث: الفصل القضاء، منه قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [51] أي: يوم القضاء بين الخلائق، ومنه الآية : ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[52].

والرابع: الفصال الفطام:﴿**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ [53].

قال ابن عطية[54]:" فصالاً: معناه فطامًا، عن الرضاع، ولا يقع التشاور ولا يجوز التراضي إلا بما لا ضرر فيه على المولود، فإذا ظهر من حاله الاستغناء عن اللبن قبل تمام الحولين فلا جناح على الأبوين في فصله".

و" **قضي:**" أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال تعالى:﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[55] أي: أحكم خلقهن؛ والقضاء: الحكم، قال الله تعالى:﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾[56] أي: اصنع واحكم، ولذلك سمِّي القاضي قاضياً، لأنه يحكم الأحكام وينفذها، وسميت المنية قضاءً لأنه أمر

يُنْفَذُ في ابن آدم وغيره من الخلق"[57].

قال الراغب في المفردات:" القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً، وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري، فمن القول الإلهي قوله تعالى:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إلاّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [58] أي: أمر بذلك، وقال:﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ [59] فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم، أي: أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً، ومن الفعل الإلهي قوله : ﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [60] ... والقضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المُعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما[61]لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفر من القضاء؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله، تنبيهاً أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له، ويشهد لذلك قوله تعالى:﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾ [62] وكل قول مقطوع به من قولك: هو كذا أو ليس بكذا يقال له: قضية". [63]

وفي قاموس القرآن [64] وردت وجوه كلمة قضى على عشرة أوجه:

فوجه منها: قضى بمعنى: وَصَّى، ومنه قوله تعالى:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إلاّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[65] ومنه قوله تعالى:﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنْ الشَّاهِدِينَ**﴾[66] معناه: عهدنا إلى موسى، ووصيناه بالرسالة إلى فرعون.

الثاني: قضى بمعنى: أخبر، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ [67] يعنى: أخبرنا بني إسرائيل.

الثالث: قضى يعني: فرغ، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاَةَ** ﴾ [68] يعني: إذا فرغتم من الصلاة، كقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [69] أي: إذا فرغ منها.

الرابع: قضى بمعنى: فعل، قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنْ**

الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[70] يعني: افعل ما كنت فاعلاً، إنما تقضي: أي تفعل.

الخامس: قضى نزول الموت، قوله تعالى: **﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** [71] أي: لينــزل علينا الموت، **﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾**[72].

السادس: قضى بمعنى: وجب، قوله تعالى:**﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾** [73] يعني: وجب الأمر، ومثله قوله تعالى: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾**[74]يعني: وجب العذاب ووقع.

السابع: قُضي، أي: كتب، قوله تعالى: **﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾** [75] أي: مكتوباً في اللوح المحفوظ، أن عيسى يكون.

الثامن: قَضَى: أتمَّ، قوله تعالى:**﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾** [76] يعني: أتم شرطه، كقوله تعالى فيها:**﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾** [77] أي: أتممت.

التاسع: قُضي، بمعنى: فُصل، قوله تعالى:**﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾** [78] أي: فصل بينهم القضاء.

العاشر: قَضَى بمعنى: خلق، قوله تعالى: **﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾** [79].

4. **استعمال الكلمة في السنة النبوية**

ترد الكلمة الواحدة في السنة النبوية في مواطن متعددة من حديثه صلى الله عليه وسلم وتختلف معانيها، ولا تكاد تجد كتابًا يستوعب الحديث النبوي ومعاني مفرداته، فيمكن الاستفادة من كتب غريب الحديث أولاً، ثم من كتب الشروح، ومعاجم اللغة بعد.

ولا يظن ظانّ اتحاد معنى الكملة حيث وردت في السنة، فللكلمة في السنة وجوه متعددة، تختلف معانيها باختلاف السياق.

ويعد كتاب" النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير الجزري[80] أول ما ينبغي التعاطي معه في هذا الباب، ثم تأتي بعد ذلك كتب الشروح.

وهذان مثالان من السنة يعينان على فهم المسألة:

الأول: كلمة" **قضى**" قال ابن الأثير في النهاية[81]:" قد تكرر في الحديث ذكر" **القضاء**" وأصله: القطع، والفصل، يقال: قضى يقضي قضاءً، فهو قاض: إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى: الخلق، ثم قال: وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه؛ مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أُحكم عمله، أو أُتم، أو خُتم، أو أُدِّي، أو أُوجب، أو أُعلم، أو أُنفذ، أو أُمضي، فقد قُضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث".

والثاني: كلمة" **تَشَرَّفَ**" من قوله صلى الله عليه وسلم" **مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفه**".

" **مَنْ تَشَرَّفَ**" يدل أصل وضع ا لكلمة" شرف" على العلو والارتفاع، فالشرف: العلو، والشريف الرجل العالي، واستشرفتَ الشيء: إذا رفعت بصرك تنظر إليه والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه، ومشارف الأرض: أعاليها، والشرفة: التي تشرف بها القصور، والجمع شُرَف.

وأورد ابن الأثير في النهاية حديثنا وقال:" **مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا**" أي: من تطلع إليها وتعرض لهاواتَتْه فوقع فيها[82].

وفي الحديث الآخر:" **لا تتشرفوا للبلاء**"[83] أي لا تتطلعوا إليه.

وفي حديث أحد:" **لا تُشْرِفْ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ**"[84] أي: لا تبرز من أعلى الموضع.

فهذه بعض وجوه مادة" شرف".

5. تحديد المعنى المقصود للكلمة المدروسة في سياقها

لكل كلمة في سياق النص المدروس في السيرة النبوية شخصيتها الخاصة، ومعناها المحدد، فلا يصح حمل الكلمة المعنية بالدراسة على أيٍّ مِنْ معانيها، حتى يتم التحقق من المعنى المراد.

مثال: وصف النبي صلى الله عليه وسلم إسراءه فقال في مقطع من الحديث:

"**فَجَاءنِي جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلام بِإِنَاء مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ**"**وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ**"**فَقَالَ: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ**"" **فَقَالَ جِبْرِيلُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ**

الفطْرَةَ""الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ"" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ"" أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ".

والآن انظر إلى كلمة" **الفطرة**" واستعمالاتها في لغة العرب، ثم حدد المعنى المقصود للفطرة هنا:

قال ابن منظور رحمه الله:" فطَرَ الشيءَ: شقه، وتَفَطَّرَ الشيءُ: تشقق، والفَطْر: الشق، وجمعه فُطُور، وأَصل الفَطْر: الشق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾[85] أَي: انشقت. وفي الحديث: قام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى تَفَطَّرَتْ قدماه[86] أَي انشقتا، يقال: تَفَطَّرَتْ وانْفَطَرَتْ بمعنى؛ ومنه أُخذ فِطْرُ الصائم لأَنه يفتح فاه.

وسيف فُطَار: فيه صُدُوعٌ وشقوق؛ قال عنترة: سلاحي لا أَفَلَّ ولا فُطارَا.

وَالفُطَارِيّ من الرجال الفَدْم الذي لا خير عنده ولا شر، مأْخوذ من السيف الفُطارِ الذي لا يَقْطع.

وفَطَر نابُ البعير: شَقّ وطلع، فهو بعير فاطِر؛ وفَطَر الناقة والشاة يَفْطِرُها فَطْراً: حلبها بأَطراف أَصابعه، قال الجوهري: الفَطْر حلب الناقة بالسبابة والإِبهام، والفُطْر: القليل من اللبن حين يُحْلب. والفُطْر شيء قليل من اللبن يحلب ساعتئذٍ؛ تقول: ما حلبنا إلا فُطْراً؛ والفَطْر: المَذْي؛ شُبِّه بالفَطْر في الحلب؛ لأَنه لا يكون إِلا بأَطراف الأَصابع فلا يخرج اللبن إِلا قليلاً، وكذلك المذي يخرج قليلاً، وليس المنيّ كذلك؛ وقيل: الفَطْر مأْخوذ من تَفَطَّرَتْ قدماه دماً أَي سالَتا، وقيل: سمي فَطْراً لأَنه شبّه بفَطْرِ ناب البعير لأَنه يقال: فَطَرَ نابُه طلع، فشبّه طلوع هذا من الإِحْليلِ بطلوع ذلك، وسئل عمر، رضي الله عنه، عن المذي فقال: ذلك الفَطْرُ؛ وروي: ذلك الفُطْر، بضم الفاء؛ والضم اسم ما يظهر من اللبن على حَلَمة الضَّرْع.

وانْفَطر الثوب إِذا انشق، وكذلك تَفَطَّر. وتَفَطَّرَت الأَرض بالنبات إِذا تصدعت. والفُطْر: ما تَفَطَّر من النبات، والفُطْر أَيضاً: جنس من الكَمْءِ أَبيض عظام لأَنَّ الأَرض تَنْفطر عنه، واحدته فُطْرةٌ، والفِطْرُ: العِنَبُ إِذا بدت رؤوسه لأَن القُضْبان تتَفَطَّر.

والتَّفاطيرُ: تَباشيرُ الصبحِ ولا واحد له. والتَّفاطير والنَّفاطير: بُثَر تخرج في وجه الغلام والجارية.

وفَطَر أَصابعَه فَطْراً: غمزها. وفَطَرَ الله الخلق يَفْطُرُهم: خلقهم وبدأَهم. والفِطْرَةُ: الابتداء والاختراع. والفِطْرةُ، الخِلْقة؛ والفِطْرةُ: ما فَطَرَ الله عليه الخلقَ من المعرفة به. وقد فَطَرَهُ يَفْطُرُه، بالضم، فَطْراً أَي خلقه. والفِطْرةُ الخلقة التي يُخْلقُ عليها المولود في بطن أُمه؛ قال وقوله تعالى:﴿**إلاّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي**﴾[87] أَي خلقني؛ وقول النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**" يعني: الخِلْقة التي فُطِرَ عليها في الرحم من سعادةٍ أَو شقاوة، فإِذا ولَدَهُ يهوديان هَوَّداه في حُكْم الدنيا، أَو نصرانيان نَصَّرَاه في الحكم، أَو مجوسيان مَجَّساه في الحُكم، وكان حُكْمُه حُكْمَ أَبويه حتى يُعَبِّر عنه لسانُه، فإِن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفِطْرةِ التي فُطِرَ عليها فهذه فِطْرةُ المولود؛ قال: وفِطْرةٌ ثانية وهي الكلمة التي يصير بها العبد مسلماً وهي شهادةُ أَن لا إِله إِلا الله وأَن محمداً رسوله جاء بالحق من عنده فتلك الفِطْرةُ للدين؛ والدليل على ذلك حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه عن النبي صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه علَّم رجلاً أَن يقول إِذا نام وقال:" **فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ**"[88].

والفَطْر للصائم، والاسم الفِطْر، والفِطْر: نقيض الصوم، والفِطْرُ: القوم المُفْطِرون، والفَطُور: ما يُفْطَرُ عليه، وفَطَرَتِ المرأَةُ العجينَ حتى استبان فيه الفُطْرُ، والفَطِير: خلافُ الخَمِير، وهو العجين الذي لم يختمر. وفَطَرْتُ العجينَ أَفْطُره فَطْراً إِذا أَعجلته عن إِدراكه. تقول: عندي خُبْزٌ خَمِيرٌ وحَيْسٌ فَطِيرٌ أَي طَرِيّ. وفَطَرْتُ العجينَ والطين، وهو أَن تَعْجِنَه ثم تَخْتَبِزَه من ساعته، وكل شيءٍ أَعجلته عن إِدراكه، فهو فَطِير. ويقال: إِيايَ والرأْيَ الفَطِير؛ ومنه قولهم: شَرُّ الرأْيِ الفَطِير. وفَطَرَ جِلْدَه، فهو فَطِيرٌ، وأَفْطَره: لم يُرْوِه من دِباغٍ؛ والفَطِيرُ من السِّياطِ: المُحَرَّمُ الذي لم يُجَدْ دباغُه[89].

وبعد النظر في مادة فطر؟ ماذا يمكن أنْ يختار الباحث من المعاني لتلك الكلمة؟ هل يختار مثلاً اللبن؟ أم العجين الفطير، أم الشق، أم الرأي المتعجل، أم الدين، أم يجمع بين تلك المعاني كلها؟

إنَّ الباحث هنا يعلم أنَّ الباب كله في هذا الخبر باب الدين، والرحلة رحلة الدين، والإسراء إسراء الدين، وكذلك العروج، فلا يصح حمل الكلمة إلا على دين الإسلام، " **الفِطْرَةُ**: دين الإسلام ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ [90]

أي: ما رَكَزَ فيه من قوته على معرفة الإيمان" ويحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة، لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه"[91]" ويحتمل من قولهم: فطرت الشاة، أي: حلبتها بأُصبعين"[92] ويحتمل غير ذلك.

" والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم إليه دون غيره، لكونه كان مألوفاً له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة"[93] والله تعالى أعلم.

6. **النظر في كلام الأئمة في الكلمة والنص المدروسين**

إنَّ تحليل النص الوارد في السيرة النبوية، يستدعي من الدارس أنْ يقف على كلام الأئمة، ففيما قال الأئمة خير عظيم وبركة، ولا يحمد لدارس السيرة النبوية أنْ يتخطى الرقاب، كيف؟ وهي الرقاب السامقة العالية المشهود لها بالفضل والخير!

ولقد يجد الباحث في السيرة كلامًا للأئمة يتناسب مع العصر الحاضر، يفوق كلام المعاصرين ويتجاوزه، فتزيين الدارسين كلامهم بالنقل عن السابقين خير من اعتماد الكلمة المعاصرة فحسب، وإن كان كلام المعاصرين لا يخلو من خير.

وللوقوف على كلام الأئمة يمكن مراجعة كتب السير الموسعة ذات الفوائد العظيمة، كما يستفاد كلام الأئمة من كتب الشروح التي تشرح بعض أحاديث السير الواردة في كتب الحديث بعامة.

مثال لبيان معنى الابتلاء وكيف أفاد الباحث فيه من كلام السابقين المبرز بخط تحته:

" الابتلاء سنة في الدعوات﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ**[94]﴾ و" **مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**" [95] **يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها، ويوجه إليه البلاء فيصيبه**" [96] فإنه " **إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلاهُم، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الجَزَعُ**"[97] و"**مَنْ أُعْطِي فَشَكَرَ، وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَظَلَمَ فَاستَغْفَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ، أُولَئِكَ لَهُم الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون**"[98].

"**وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبا من ألم**"[99].

وفي حديث سَعْد بن أبي وقاص: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ:" **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ؛ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ**

يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[100].

"**وَالأَمْثَلُ: من المثالة والجمع أماثل وهم الفضلاء"**[101] " **أي: الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى رتبةً ومنـــزلةً"**[102] " **والبلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت النعمة عليه أكثر فبلاؤه أغزر"**[103].

وقد قَصَّ القرآن الكريم خبر يوسف عليه السلام، وأنه كلما تعرض لمحنة وفتنة كان أكثر قربًا من ربه، حتى ﴿**مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ**[104]﴾.

وهذه قريش؛ تَحُوزُ القَدَحَ المُعَلَّى؛ وتفوق فرعون وهامان.

قَالَ خَبَّاب بنُ الأَرَتِّ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا تَدْعُو اللَّهَ؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ:" **لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ"**[105].

"**وكان الذين مُشِطُوا بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ من الأنبياء وأتباعهم، وفي الصحابة مَنْ لو فُعِلَ به ذلك لصبر، وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم"** [106].

" **وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ الإسلام؛ لأن فيه الأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية"** [107].

" **وما جرى على الصحابة من البلوى ليؤجروا عليها، كما جرت به عادة الله تعالى في من اتبع الأنبياء فصبروا على الشدة في ذات الله، ثم كانت لهم العاقبة بالنصر وجزيل الأجر"**[108].

فهذه النقول عن الحافظ ابن حجر رحمه الله، مناسبة لتحليل النص الوارد في السيرة، وتفي بالغرض الذي يحتاجه المسلمون في الأعصر المتأخرة، وفيها بركة أنفاس سلفنا الصالح، رحمة الله تعالى عليه.

ولولا الرغبة في الاختصار ومخافة السآمة، لذكرت كلامًا أنقله عن الأئمة

السابقين رحمة الله تعالى عليهم.

7. الإغراب في التحليل والتأويل

الأصل في تحليل الألفاظ عدم تحميلها ما لا تحتمل، وعدم تجاوز قواعد العربية بحال، ولا يصح الادعاء بأنَّ للكلام ظاهرًا وباطنًا، والأصل أن يفهم" القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية، من غير تكلف ولا تعسف، ويُرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات"[109].

لكن أن يغرب الباحث بحيث تحتمل اللغة من طرف خفي إغرابه، فهذا موطن التنبيه هنا.

أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم في المنافقين قوله سبحانه:﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[110].

وظاهر الآية تأييس المخاطب من إمكان المغفرة لهم، فيصير الحكم عدم الاسغفار لهم.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم؛ المبعوث رحمة للعالمين، يجد في الآية مسوغاً للاستغفار.

روى الإمام البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ:" **أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**" فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ:" **إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**" قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ، ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾[111] قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[112].

وروى البخاري[113] عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ**" قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره**﴾[114].

قال الطاهر بن عاشور:" حمل قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾[115] على التخيير، مع أن ظاهره أنه مستعمل في التسوية، وحمل اسم العدد على دلالته الصريحة، دون كونه كناية على الكثرة، كما هو قرينة السياق، لما كان الأمر واسم العدد صالحَين لما حملها عليه، فكان الحمل تأويلاً ناشئًا عن الاحتياط، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط حين جاءت مسلمة مهاجرة إلى المدينة وأبت أن ترجع إلى المشركين فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ** ﴾[116] فاستعمله في معنى مجازي هو غير المعنى الحقيقي الذي سيق إليه[117].

وقال الطاهر:" والذي يظهر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحي إليه بآية سورة المنافقين، وفغيها أن استغفاره وعدمه سواء في حقهم، تأوّل ذلك على الاستغفار غير المؤكد وبعثه رحمته بالناس وحرصه على هداهم، وتكدره من اعتراضهم عن الإيمان أن يستغفر للمنافقين استغفارًا مكررا مؤكدًا عسى أنْ يغفر الله لهم ويزول عنهم غضبه تعالى فيهديهم إلى الإيمان الحق... وصيغة الأمر في قوله" استغفر" مستعملة في معنى التسوية المراد منها لازمها وهو عدم الحذر من الأمر المباح، والمقصود من ذلك إفادة معنى التسوية التي ترد صيغة الأمر لإفادتها كثيرًا، وعدَّ علماء أصول الفقه في معاني صيغة الأمر معنى التسوية ومثلوه بقوله تعالى: ﴿**اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا**﴾ [118].

فأما قوله: ﴿**أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾[119]فموقعه غريب، ولم يُعْنَ المفسرون والمعربون ببيانه، فإن كونه بعد" لا" مجزومًا يجعله في صورة النهي، ومعنى النهي لا يستقيم في هذا المقام، إذ لا يستعمل النهي في معنى التخيير والإباحة، فلا يتأتى منه معنىً يعادل معنى التسوية التي استعمل فيها الأمر، ولذلك لم نر علماء الأصول يذكرون التسوية في معاني صيغة النهي كما ذكروها في معاني صيغة الأمر... " وسبعين مرة" غير مراد به المقدار من العدد بل هذا اسم من أسماء العدد التي تستعمل في معنى الكثرة... ولعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بأضعف الاحتمالين في صيغة ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾[120] وكذلك في لفظ عدد" سبعين مرة" استقصاءً لمظنة الرحمة"[121].

انتهى كلام الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى، وكلامه يؤصل إلى الفهم الإشاري للنص، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمل النص على غير ظاهره في أمر الله تعالى له بالاستغفار أو عدمه للمنافقين.

ومما يمكن أنْ يعين في بيان مسألة الإغراب في التأويل حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:" **إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**" فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ:" فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ. وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ[122].

فقد دل الحديث على أنَّ فهم السنة يكون باديًا واضحًا صريحًا، ويكون بعيدًا لا يفهم إلا بوجه من إعمال الفكر والنظر.

وهذا سيدنا عبد الرحمن بن عوف يعاتب سيدنا عمر بن الخطاب لإدخاله عبد الله بن العباس مع أشياخ بدر.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ

تَعَالَى:﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾[123] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لا. قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ:﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾[124] وَذَلِكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَقُولُ"[125].

قال الحافظ العسقلاني رحمه الله في شرحه:" فيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه: أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن".

8. تنــزيل النص على الواقع

يعني الباحث بقوله: تنزيل النص على الواقع، أنْ يقول: هذا الحديث يعني كذا، مما هو موجود في واقع حياة الناس.

وقد يشترط الباحث **لتنــزيل النص على الواقع** شروطًا أربعة:

الأول: التأدب بعدم القطع في تنــزيل النص على الواقع، فالله أعلم بالمراد، وعليه فإنَّه يحمد للباحث أنْ يكثر من قوله: لعل، وربما، والله أعلم.

نعم؛ قد تجد للصحابة والتابعين ومن بعدهم قطعًا بل وقسمًا معظمًا في تنزيل النص على الواقع الذي عرفوه، لكنهم رحمهم الله لم يكونوا كما نحن اليوم، من غربة وقلة زاد وهوى، فيبقى الأصل على قوله صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**"[126] فكان صلى الله عليه وسلم مع إعلام الله له عن حال الحسن رضي الله عنه غير قاطع فيما يقول.

والشرط الثاني: عدم تحميل النص ما لا يحتمل من صور حياة الناس وواقعهم، فقد يرى الناظر لكثير من أهل العلم غلوًا ظاهرًا في هذه الناحية[127].

والشرط الثالث: عدم تجاوز شروط اللغة وضوابطها.

والشرط الرابع: البعد عن شطحات الظاهر والباطن في تحليل النص.

ولعل الناظر في حديث بُرَيْدَةَ بن الحَصِيْبِ رضي الله عنه الآتي يجد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان ينــزل النص على الواقع، فقد:" كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَخْطُبُ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ فِيهِمَا، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطَعَ كَلامَهُ فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ قَالَ:" **صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾**[128] **رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا**"[129].

ومثله حديث تميم الداري أيضًا؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم" جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: ... " **أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ..." **لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاثِينَ رَجُلا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ ... أَلا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟** فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، **فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ**"[130].

ومثله حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه يعد من هذا الباب: قَالَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ وَذُلا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**" وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ[131].

قال الباحث: فهذا من تنـــزيل النص على الواقع.

ومنه أيضًا:حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **لا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنْ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ**" قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ[132].

ومنه أيضًا حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ يَسْأَلُهُ؛ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى رَأْسِهِ مَرَّةً وَإِلَى رِجْلَيْهِ أُخْرَى هَلْ يَرَى عَلَيْهِ مِنْ الْبُؤْسِ شَيْئًا؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُ: كَمْ مَالُكَ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ مِنْ الإِبِلِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" **لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى الثَّالِثَ**"[133].

والأمثلة كثيرة في تنـــزيل النص على الواقع، منها حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ:" **يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟**" قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ:" **فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللَّهَ**" قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلادَ؟" **وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**" قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ قَالَ:" **كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ**"

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ إِلا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ"[134].

ويحسن الختم بنقل كلام بعض الأئمة في تنـــزيل النص على الواقع:

روى مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:" **يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلا دِرْهَمٌ!**" قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ:" **مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ**" ثُمَّ قَالَ:" **يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلا مُدْيٌ**" قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ:" **مِنْ قِبَلِ الرُّومِ؟**" ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لا يَعُدُّهُ عَدَدًا**" قَالَ: قُلْتُ لأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلاءِ:" أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالا: لا.[135].

فيلاحظ أنَّ رواة الحديث أنزلوه على عمر بن عبد العزيز، ولم يوافقهم بعض رواته.

قال الإمام النووي في شرحه:" وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود"[136].

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث" كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا فَقِيلَ لَهُ وَكَيْفَ تَرَى ذَلِكَ كَائِنًا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ إِي وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ قَالُوا عَمَّ ذَاكَ قَالَ تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَيَشُدُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ" قال الحافظ:" فيه أن المسلمين سيُمنَعُون حقوقهم في آخر الأمر، وكذلك وقع"[137].

وفي تعقيب لشيخنا أبي عبد الرحمن الألباني رحمه الله على حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى ... تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**"[138] قال:" وقد بدأت تباشير هذا الحديث تتحقق في بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات وبركات وآلات ناضحات تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء، وهناك فكرة بجر نهر الفرات إلى الجزيرة كنا قرأناها في بعض الجرائد المحلية، فلعلها تخرج إلى حيز الوجود، وإنّ غدًا لناظره قريب"[139].

المطـلـــــب الثـــــانـــــي
الهجـــرْةُ النَّبَوِيَّـــــةُ
عرض وتحليل

اسْتِشْرَافُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارَ الهِجْرَةِ

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أحزنه ما يقع لأصحابه من الأذى، ويقع في نفسه أنْ لا مجال لدى قريش، فقد استمرأوا الضلال واستطابوا أذى الرسالة والرسول، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى في المنام أنه مهاجر وأصحابه من بين ظهراني المشركين، فرأى دارَ الهجرةِ، فقال لأصحابه:"**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهْلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**"[140].

ويتردد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحديد دار الهجرة، بين الْيَمَامَةِ وَهَجَرٍ، لَكِنَّ تَتَابُعَ الرؤى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسر له إدراك دار الهجرة بالشكل النهائي المحدد" فكأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيَ دارَ الهجرةِ بصفةٍ تجمع المدينة وغيرها، ثم أري الصفة المختصة بالمدينة فتعيَّنت"[141] فَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ:" **إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ**" وَهُمَا الْحَرَّتَانِ[142] فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ"[143].

ثُمَّ قَوِيَ وَهْلُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها يثرب، فَقَالَ:"**إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي**

أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لا أُرَاهَا إلا يَثْرِبَ"[144].

وكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتأول الرؤيا، لا يجزم فيها، غير أنه يدعو أصحابه للهجرة إلى يثرب، تأولاً لتلك الرؤيا.

والله تعالى﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾[145].

" فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ"[146].

أمَّا استكناه المستقبل واستشرافه، ومحاولة الوقوف على بعض معالمه، من الرؤيا والفراسة والإلهام والفأل، فهذا أمر تتابعت عليه أخبار السنة الصحيحة، ودلت عليه أمور السلف الصالح، من الصحابة والتابعين والصالحين" فإنَّ الأنبياء ومَنْ دونهم لا يعلمون الغيب، إلا ما علمهم الله"[147].

أَوَّلُ المُهَاجِرِيْن إلى المَدِيْنَةِ.

وابتدأ وَفد الله يحث الخطى نحو طريق إبراهيم عليه السلام﴿**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي**﴾[148] فيمضي في سُنَّةٍ لا تَتَخَلَّفُ فِي دَعَوَاتِ الرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام.

وكان مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَوَّلَ النَّدى، وتبعه ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ" فَأَوَّلُ مَنْ قَدِمَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ"[149]" ثُمَّ أَتَى بَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ"[150]"فَكَانُوا يُقْرِئُونَ النَّاسَ، ثُمَّ قَدِمَ بِلالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ"[151]" ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[152].

" استَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِي الله عَنْه النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، حِيْنَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ"[153]" وَتَجَهَّزَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ:" **نَعَمْ**" فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ[154].

الإِذْنُ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالهِجْرَةِ وَخُرُوْجُهُ إلى الغَارِ.

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد" مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ"[155] وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا" تَشَاوَرَتْ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ"[156] بقوله:﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[157]فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بَكْرٍ:" **أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**"[158].

" فَشَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ؛ لَبِسَ ثَوْبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[159] "**فَبَاتَ** عَلَى فِرَاشِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَبَاتَ **الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا**، يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[160]"وَجَعَلَ عَلِيٌّ يُرْمَى بِالْحِجَارَةِ، كَمَا كَانَ يُرْمَى نَبِيُّ اللَّهِ، وَهُوَ يَتَضَوَّرُ[161] قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ فِي الثَّوْبِ لا يُخْرِجُهُ"[162]" فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ نَائِمٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ انْطَلَقَ نَحْوَ بِئْرِ مَيْمُونٍ فَأَدْرِكْهُ"[163]" فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ"[164]فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ" فَقَالُوا: إِنَّكَ لَلَئِيمٌ، كَانَ صَاحِبُكَ نَرْمِيهِ فَلا يَتَضَوَّرُ وَأَنْتَ تَتَضَوَّرُ، وَقَدْ اسْتَنْكَرْنَا ذَلِكَ"[165]" وَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: لا أَدْرِي"[166].

" قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[167] قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْرٍ:" **أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ[168] بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" **فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ[169] بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **نَعَمْ**".

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ" عَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ"[170] فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي نَاقَتَانِ، قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ"[171] فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **بِالثَّمَنِ**"[172]" فَأَعْطَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ الْجَدْعَاءُ"[173].

"قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا **أَحَثَّ الْجِهَازِ**، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[174] فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ **أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ** قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا[175] فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَرَكِبَا"[176].

ويتمهل الركب المؤمن لحظةً، يلقي النظرة الخاتمة؛ فتخرج الكلمات كما

العَبَرَات تفيض رقةً وحنانًا؛ فيقف رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَزْوَرَةِ[177] فَيَقُولُ:" **وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**"[178] ويقول لمَكَّةَ:" **مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**"[179] ثم تمضي القافلة، تشق طريق الأمة المسلمة عبر الصعاب، فتشرق شمس الدين والحق، ويزهق الباطل وأهله،" فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا الْغَارَ"[180]" فِي جَبَلِ ثَوْرٍ"[181] فعلم المشركون بخروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِّطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَمَرُّوا بِالْغَارِ"[182] ووقفوا ببابه، قَالَ أَبُو بَكْرٍ:" نظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ! فَقَالَ:" **يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا!!**"[183] وكان نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ بباب الغار، فَرَأَوْه، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا لَمْ يَكُنْ **نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ** عَلَى بَابِه"[184].

"**فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ**، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ **غُلامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ**، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، **فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ**[185]، فَلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ[186] بِهِ إِلا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ **حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ**، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا **عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ**[187] مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ"[188]" كَانَتْ لأَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ يَرُوحُ بِهَا"[189]"فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ"[190]" وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ وَيُصْبِحُ[191] فَيَدَّلِجُ[192] إِلَيْهِمَا، ثُمَّ يَسْرَحُ فَلا يَفْطُنُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ الرِّعَاءِ"[193]" يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثِ[194]".

" وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، هَادِيَا خِرِّيتًا[195] **وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ**، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ"[196] فجاء على ميعاد.

الخُرُوجُ مِنْ الغَارِ، وَقِصَّةُ سُرَاقَةَ بن مَالك.

وَتُحَدِّثُ عَائِشَةُ رَضِي الله عَنْها عَمَّا وَقَعَ بَعْدُ، فَتَقُولُ:" وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ"[197]" يُعْقِبَانِه"[198]" وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ"[199]" فَسَلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مِنْ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا على السَّاحِلِ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ، ثُمَّ اسْتَجَازَ بِهِمَا عَلَى أَسْفَلَ أَمجٍ، ثُمَّ عَارَضَ الطَّرِيْقَ بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قَدِيْدًا، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا الحِجازَ، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ

المرَار، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا الحفياء، ثُمَّ أجاز بِهِمَا مدلجة تقف، ثُمَّ استبطن بِهِمَا مدلجة صحاح، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا مذحج، ثُمَّ ببطن مذحج من ذي الغصن، ثُمَّ ببطن ذي كشد، ثُمَّ أخذ الجباجب، ثُمَّ سَلَكَ ذي سلم من بطن أعلى مدلجة، ثُمَّ أخذ القاحة، ثُمَّ هبط العرج، ثُمَّ سَلَكَ ثَنِيَّةَ الغائر، عن يمين ركوبه، ثُمَّ هبط بطن ريم فقدم قباء"[200].

وكانت قريش قد أرسلت رسلها في الآفاق، كما يروي سُرَاقَةُ قَالَ:"جَاءنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ؛ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ"[201].

ويمضي الركب المؤمن؛ الراحل في سبيل الله، فتقع عيون المشركين عليهم، قَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ:" فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ[202]، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلانًا وَفُلانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا"[203].

قَالَ سُرَاقَةُ:" ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ[204] حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الأَزْلامَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا، فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ[205]، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: **إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ**[206] وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا **يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ**"[207].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ حِيْنَ أَدْرَكَهُم سُرَاقَةُ" يَا رَسُولَ اللَّهِ أُتِينَا، فَقَالَ:" **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ**

مَعَنَا"[208] فلما دنا منَّا، وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة، قلت: هذا الطلب يارسول الله قد لحقنا، فبكيت قال:" ما يبكيك؟" قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك!"[209] فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[210] فَقَالَ:" **اللهم اكفناه بما شئت**"[211] **اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**" فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ"[212] فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا أُرَى، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ"[213] "فَدَعَا اللَّهَ فَنَجَا"[214] قَالَ:" وَلَكَ عَلَيَّ لأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ:" **لا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ**"[215]"وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلانِي إلا أَنْ قَالَ:" **أَخْفِ عَنَّا**"[216] " فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، قَالَ:" **فَقِفْ مَكَانَكَ، لا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا**"[217] فَرَجَعَ لا يَلْقَى أَحَدًا إِلا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلا يَلْقَى أَحَدًا إِلا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا"[218].

قَالَ سُرَاقَةُ:" فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ **فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ**، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[219].

مُوَاصَلَةُ الطَّرِيْقِ إِلَى المَدِيْنَةِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:" أُخِذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ فَخَرَجْنَا لَيْلاً"[220] فَأَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا"[221]"وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ"[222] وَخَلا الطَّرِيقُ، فَلا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ"[223]"" وَقَدْ عَطِشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[224] فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍ فَآوِي إِلَيْهِ"[225]"حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ، لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظِلِّهَا"[226]" فَفَرَشْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْوَةً مَعِي"[227] " ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ"[228]" ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنْ الطَّلَبِ أَحَدًا؟"[229]"فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ[230] يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا فَلَقِيتُهُ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ[231] قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضْ الضَّرْعَ مِنْ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى"[232]" ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ هَكَذَا؛ ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي

كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ **فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ**"[233] ثُمَّ قَالَ:" **أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟**" قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتْ الشَّمْسُ"[234]" وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ"[235].

وكلما سُئِلَ أبو بَكْرٍ:" مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ"[236].

" وَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنْ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ"[237].

وَأَضَاءت المَدِيْنَةُ.

" وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ"[238].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ:" فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلاً"[239] فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَانِبَ الْحَرَّةِ"[240]" فَكَمَنَا فِي بَعْضِ خِرَبِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الأَنْصَارِ[241] " رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُؤْذِنُ بِهِمَا"[242].

وكان الأَنْصَارُ قد" أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَأَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ[243]، لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمْ السَّرَابُ[244]، فَلَمْ يَمْلِكْ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ؛ هَذَا جَدُّكُمْ[245] الَّذِي تَنْتَظِرُونَ[246] فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ"[247]وكانوا"زُهَاءَ خَمْسِ مِائَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا"[248]" وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلاحِ"[249]" فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ[250]، وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ"[251].

" فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنْ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى

أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى[252]، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[253]".

" ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ، حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ"[254]"جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ"[255]" فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:" **أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**" فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ"[256]" فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ"[257]" فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ، كَانَ أَحْسَنَ وَلا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ"[258] فَقَدْ:" أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ"[259]"فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ، فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[260].

" فَأَقْبَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ"[261]" فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟**" فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ:" **فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلاً**" قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ"[262].

" وكان مَسْجِدُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ[263] لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ؛ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ[264] يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ:" **هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ**" ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالا: لا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا[265]، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ[266] فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ[267]:" **هَذَا الْحِمَالُ[268] لا حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ**" وَيَقُولُ:" **اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمْ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ**"[269].

واستقر المقام برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة المنورة، وصارت الهجرة دِيْنًا، يبايع عليه المسلمون" أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ"[270] وأصبح التخلف عنها

سُبَّةً وعارًا، في الدنيا قبل الآخرة، تستحق براءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " **أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**"[271] ويتوعد القرآن الكريم تارك الهجرة وينذره:﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[272] وذلك" أَنَّ نَاسًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ؛ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ، فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**﴾ الآيَةَ[273].

وأنزل الله تعالى الإذن بالقتال في رحلة الهجرة، كما روى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ:" لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[274] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ"[275].

التحليل

1. " تَشَاوَرَتْ قريش لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ".

" كان ذلك المؤتمر، حين ضاقت قريش بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذرعًا، كما تضيق القوة الغاشمة دائمًا بكلمة الحق، لا تملك لها دفعًا، ولا تطيق عليها صبرًا، فائتمرت به، وقررت أن تتخلص منه؛ فأطلعه الله على ما ائتمرت، وأوحى إليه بالخروج، فخرج وحيدًا إلا من صاحبه الصديق، لا جيش ولا عدة، وأعداؤه كثر، وقوتهم إلى قوته ظاهرة، ثم ماذا كانت العاقبة؟ والقوة المادية كلها في جانب، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صاحبه منها مجرد؟ كان النصر المؤزر من عند الله، بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا، وبقيت كلمة الله هي العليا"[276]

فهذه الجاهلية، في مجلس الشورى، تجتمع في الليل الأسود البهيم، لئلا يطلع الناس على ما يحمل الليل من أخبار، فتعتقل الإمام مالك، وتخلع كتفه ضربًا، وتأتي بأحمد مخفورًا يرسف في الأغلال، وتضرب محمد بن نوح حتى يموت في حديده، وتعلق سيد على أعواد المشنقة، وتطرد سعيد حوى والألباني فيموتان غرباء بعيدين عن

الظاهرية التي يحبون ويألفون، وتطالب بأسامة في كل مكان، وتضرب النساء والأطفال في العامرية وعناقيد الغضب، هذه الجاهلية يباركها الشيطان، ويقبل يديها، ويقول لها: أنت أنت! أنت الديمقراطية الحقة.

فهل تغير المؤتمر الليلي؟ وهل وقفت يد السجان عن العبث بمغالق الحواشر؟ فتنخلع قلوب، وتنهمر دموع، وتكتم أنفاس، وتتصاعد زفرات.

وتقرر الجاهلية قرارها:" فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، بَلْ اقْتُلُوهُ، بَلْ أَخْرِجُوهُ" فَيُخْرَجُ عمر، ويثبت في سجن راعية الديمقراطية، ويقتل الكرام، وهم كثير، ويوثق المجاهدون عشرات السنين، في سجون متعددة الأسماء، في قلب صحراوات فتحها عمر وخالد وأبو عبيدة، وينعم بخيراتها السجان والجلاد والناطور.

" فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، بَلْ اقْتُلُوهُ، بَلْ أَخْرِجُوهُ" وتصير القاعدة، فإذا رمت السؤال عن حر فهو في واحد من ظلمات ثلاث، يطرد في بلاد الغرب؛ يذوي ويذوب، أو تحشره الزنازين، يبثها حسرة تحفر على الجدران، أو يموت على ما مات عليه ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو يتمتم باسم الله في سجن القلعة.

2- الهجرة النبوية، حَدَثٌ غَيَّرَ وجهَ الحياة، وَحَوّلَ مَسيرةَ الكونَ، فقد كانت والله فتحًا مباركًا؛ يَسَمعُ الْمُسْلِمُونَ بمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، فَيَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَهُ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فما أن علموا بوصوله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ثَارَوا إِلَى السِّلاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، وكانوا زُهَاءَ خَمْسِ مِائَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ يقولون: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلاحِ.

وتضاء المدينةُ المنورةُ برسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْتَفُّ حوله الأنصار بِالسِّلاحِ، سِّلاح العدل ذي الظلال الوارفة" فأعدل السيوف سيف ينصر حُجَجَ الله وبيناته"[277] فتلقي عنها يثرب ثوب التثريب، وترمي بالملامة، فلا يثرب بعد، فَقَدْ:" أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ"[278].

وتتنـــزل الآيات بينات؛**﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ﴾**[279] فَفَهِمَهَا أَبُو بَكْرٍ، وعلمها سنةً لله، لا تتخلف ولا تتبدل،

فقال[280]:" أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ".

وَقَولُ أَبِي بَكْرٍ رَضِي اللهُ عَنْه:" أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ" يدل على أنَّ إخراج الأنبياء من البلاد مفسدة ومهلكة، وكذلك كان حال الأمم السابقة، وهي سنة الله، فحيث يطرد الدين من الحياة، تجد حكم الظالمين، وتسلط الفراعين، فهل الذلة المضروبة على المتمردين على الفطرة السوية اليوم إلا الهلاك! فكيف كان فرعون بعد موسى؟ وماذا عن قوم نوح؟ وهل غابت قصة ثمود؟ وهذة حالة العرب والمسلمين الحاضرة، تشهد التردي والضنك، الحليف الظاعن الذي لا يفارق، أليست هذه الهلكة عينها؟ أليس نهب الأموال المسلمة، والسيطرة على منابع الخير والركاز فيها، بعض هذه الهلكة؟

" **أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ" وَمَنْ يخرج شَرْعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هالك، وإنْ بَدَا للناسِ أنه مُمَكَّنٌ له في الأرض، هالك بعد أن عاش آمنًا في سربه، يأتيه رزقه رغدًا من كل مكان، فصار يُعْلَفُ الفُتَاتَ، يساق للحرابة ويدفع الثمن ألوانًا؛ لشُرَكَاءَ مُتَشَاكِسينَ؛ من كبريائه وعزته وأمنه، إنَّ ذهاب الهيبة بين الأمم هلاك.**

" أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[281]، قد أُذن بالقتال، وَصَدَحَ أَبُو بَكْرٍ بكلمة الله يتحدى الجاهلية:" **لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ**"[282].

فكانت بَدْرُ بَدْرًا، وأُحُدُ أَحَدَّ وأبقى، والخندقُ مقبرةَ الجاهلية، ومؤته مقدمةَ اليرموكِ ورأسَ حربتِها، والجسرَ معبرَ الرُّمَاةِ إلى فارس، وصارت حطِّينُ وعين جالوت؛ رايتين خفاقتين، تعانقان الزَّلاَّقَةَ وبلاطَ الشهداء، ويَعْبُدَ ومَيْسلُون، والآتي بعد الهجرة أكثر بكثير، لمن لا زال يبصر فتح رومًا قريبًا[283]، ومن يبقن أنَّ الله مُدْخلٌ هذا الدين كل بيت مَدَرٍ وَوَبَرٍ، بعزِّ عَزِيْزٍ أَوْ بِذُلِ ذَلِيْلٍ، حتى تأتي" عُصَيْبَةٌ منْ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الأَبْيَضَ"[284]﴿**بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾[285] ﴿**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ**﴾[286].

لقد كانت الهجرة فتحًا، وكانت أصدقَ التأريخ وأبرَّهُ؛ ذلك أنَّ التاريخ قد بدأ من تلك اللحظة الحميدة فحسب، فلا عجب ألا "يعَدُّوا منْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا منْ وَفَاتِهِ، مَا عَدُّوا إلاَّ منْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ"[287] فاتخذها الفاروق تاريخًا﴿**مِنْ أَوَّلِ**

يَوْمٍ﴾[288]يؤرخ به للأجيال المؤمنة، حتى تعلم أنَّ النصر مع الصبر، يُسْتَلُ من بين الصعاب وينــزعُ، فيصير آية الناس وعلامة حياتهم.

قال الحافظ ابن حجر[289]" قد كانت القضايا التي اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربعة: مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، فرجح عندهم جعلها من الهجرة".

3- هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:" إنما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الساعة ليختفي بذلك، ففعله للحاجة"[290] وكان في" أول الزوال؛ وهو أشد ما يكون في حرارة النهار، والغالب في أيام الحر القيلولة فيها"[291] فاختار الوقت المناسب؛ الذي تقل فيه حركة الظلمة ممن يرصد ويرقب، ويعد ويحصي، فصارت سنة للصالحين، يتخفون ويتقنعون، كلما انتشى الباطل وانفخ.

4 – واختار الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في جملة ما اختار له في الهجرة، وقتَ الهجرةِ في آخر الشهر؛ حيث يكون القمر مُحَاقًا[292]؛ فلا يكون له ضوء البدر في الصحراء فيكشفه" فقد كان بين ليلة العقبة الأخيرة، وبين مهاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أشهر أو قريب منها، وهي ذو الحجة والمحرم وصفر، لكن كان مضي من ذي الحجة عشرة أيام، ودخل المدينة بعد أن استهل ربيع الأول"[293] ويبقى الشاهد هنا، أنَّ سيدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل المدينة أول الشهر، وهذا يعني أنه خرج من مكة آخر الشهر، في العَتَمَةِ لا في ضوء القمر، وذلك من توفيق الله، حيث أذن لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يهاجر تلك المدة؛ فتكون العَتَمَةُ جنديًّا من جند الله، تعفي الحركة وتخفيها، وتضل الهمسة عن عيون الرَّصَدِ والمخبرين.

5 – وسَخَّر الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جندًا لا يعلمها إلا الله، ومن جملة هؤلاء سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ القائل:" فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحل[294]، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا"[295].

فقول الرجل:" رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ" كفيل بأنْ

يجري لعاب كل جليس لإدارك الطريدة، فإنها النوق يَجْعَلُونَها فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ؛ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، تستفزز كل أعرابي في المجلس، لكنها كلمات سراقة وشهادته تحبط كل متطلع لحوق" وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلانًا وَفُلانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا" فكانت كلمة سراقة جنديًا من جند الله من حيث لا يُحتَسَبُ، وكم في تاريخ الناس من كلمات أودت بحياة كثيرين، كان سببها ثرثرة متطفل لا يدري ما يقول، وفي ذاكرة كل كريم شواهد وأمثلة.

وطريقة سراقة في التخذيل عن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه صالحة في أزمنة الشِّدَّة، فالأئمة يجوزون المعاريض وما هو أكثر منها، في التخذيل عن كريم تطرده الجاهلية، تعرض على الناس جائزة تَنُوء بها أرقام الحساب، كما تفعل جاهلية العصر وهي تطالب بالكرام، وتضع أسماءهم على قوائم القابضين على الجمر، فتغري سفلة الناس بالمال، ليدلوا بكلمة تعين على دم امرء مسلم أو اعتقاله.

قَالَ سُرَاقَةُ:" ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ[296]"

فسراقة يتخفي في لحوقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيخرج مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، ويحط بزُجِّ الرمح الأرضَ، لئلا يبرق في الشمس، فتلحظه عيون صقور الصحراوات العربية، فتلحق بسراقة ويكثر الأذى، فكان حَطُّهُ زُجَّ الرُّمْحِ بالأرض تخفيفًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتخذيلاً، أرأيت قوله تعالى﴿**إِلاّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[297] وعرفت بعض معنى"**وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا**".

6 – وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ عَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي نَاقَتَانِ، قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ" فَلِمَ الناقتان؟ والخيل معقود في نواصيها الخير! ولا أهل أعز عند العربي من فرسه، فما بال أبي بكر يستبدل الإبل بالخيل؟

إنها رحلة الصحراء البعيدة، فلو كان المهجر قريبًا لأعد له ما يناسبه من الخيل، والفرق بين الخيل والإبل معروف في الصحراء" فمهما كان عَدْوُ الحصان بالغ السرعة، فإن الهجين سيلحق به إذا ما طال الطريق، وتكاد الجمال لا تحتاج إلى الراحة، وهي تقرض في طريقها بعض النباتات الشوكية التي قد يعافها أي حيوان آخر"[298] وقد تمضي رحلة الإبل أسبوعًا تامًا لا تشرب فيه البتة.

إنَّ عملَ أبي بكر مشعرٌ بضرورة الإعداد المتقن لأمر الدين والرسالة، وهو شأن النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك؛ يعد أحسن المراكب[299] وأفضل السيوف والحراب[300] ويتوكل على الله، وقد نعى القرآن الكريم على المنافقين ترك الإعداد لدين الله ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً**﴾[301] فصار الإعداد للجهاد سَمْتَ الصالحين، وتركه سبة تلحق الذل في الدنيا، والإثم في الآخرة.

7 – قال النووي رحمه الله[302] " في نزوله على أخواله" فضيلة صلة الأرحام، سواء قربت القرابة والرحم أم بعدت".

إنَّ صِلَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخوالَ جَدِّهِ، تُبَصِّرُ المجاهد بطريق صناعة الأنصار والجنود؛ وذلك بالاستجابة لأمر الله تعالى؛ فالصلة تُجَنِّدُ الأرحام وتجمعهم عصبة حول النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك شأن الدعاة بعده.

8– قَالَ سُرَاقَةُ: فَقُلْتُ للنبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ".

"إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ" يشترون الناس بالمال، ويجعلونه أداة جمع الأوباش حول الشيطان المنتفش، والباطل المنتشي، والظلم المتضخم، حتى يتبدى قويًا قادرًا، قاهرًا بطاشًا، جبارًا عَتِيًّا، لا تقف في وجهه معارضة، ولا يصمد له مُدافع، ولا يغلبه غلاب.

" **وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ" هي سنة في الناس**﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[303]

وسنة في الصالحين؛ ألا يحسبوا للناس حسابًا؛ فلا يحزنون ولا يجزعون﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[304]﴿**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[305] فامتثل

المؤمنون لأمر الله؛﴿**فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[306]، فَمَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمَا؟

إنَّ الناس قد تقف في وجه الدعوة والرسالة في أعصر كثيرة، فتصد عن سبيل الله، وتستعلي على الدين، وتأبى أنْ تنتصر الدعوة الحق، لكن لله تعالى سنة لا تتبدل﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾[307].

والجاهلية تطارد محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلاحقه، قد ضاقت به بطحاء مكة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينقطع قلبه عن الدعاء، ولا يفتر لسانه عن الذكر" فَرَكِبْتُ فَرَسِي تُقَرِّبُ بِي، **حَتَّى سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَهُوَ لا يَلْتَفِتُ" فقد تكفل الله لرسوله بالنصر والمنعة،﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[308].

وَقِرَاءةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعاؤه في الشدة، سنة من سنن الصالحين، أوصى الله بها عباده:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[309] فلذلك كانت وقفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين يدي المعركة واستغاثته ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[310]، وكان من وصاياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجنده في سبيل الله:" **ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ؛ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**"[311] فهذا بعض سر قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنذاك.

وَيمضي عليه الصلاة والسلام، وسراقة خلفه، تُقَرِّبُ به فرسه، بأسرع جري عرفه الخيل عند العرب، وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَلْتَفِتُ، فَسَاخَتْ يَدَا فَرَسِهِ فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَّ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرَهَا، فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، حَتَّى سَمِعْتُ قِرَاءةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكأنه عليه الصلاة والسلام، لم يكن يعلم ما يدور وراءه من الطِّراد والملاحقة، فعدته الدعاء والاستغاثة؛ فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:" **اللهم اكفناه بما شئت، اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**" فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ.

9- ويقولُ أَبُو بَكْرٍ حِيْنَ يُدْرِكُهُم سُرَاقَةُ" هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله" ويبكي، ويقول:" يَا رَسُولَ اللَّهِ أُتِينَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**".

هي الثقة بالله تعالى تملأ نفس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الساعة، تمامًا كما قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، فقال موسى عليه السلام:﴿**كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾[312] فكذلك الأمر مع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ، بلا جيش ولا عتاد، ليعلم أبو بكر، والذين يأتون بعده على دربه المبارك، أنَّ النصر بيد الله، لئلا يخال الناس لحظة، أنَّ الإعداد يخلق نصرًا وتمكينًا، وأنَّ القِلَّةَ والفاقةَ تعيق النصر وتبطئ قدومه، فكيف كان فرعون مع موسى، وكيف كان محمد مع قريش، وكيف كانت بدر، والخندق واليرموك؟ كيف كان كل ذلك؟ وكيف كانت حنين؟

هي درس في التوكل التام المطلق، حتى لا يظن العبد لحظة أنَّ النصر بغير يد الله تعالى، من الإعداد والأسباب.

وحين يبكي أبو بكر ويحزن، وتنسكب العبرات المؤمنات، لا يكون بكاؤه عن جزع حاشاه، فما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك، كما كانت تبكي فاطمة يوم أحد، وكما بكى المسلمون نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فارقوه.

وأبو بكر رجل بَكَّاء قريب الدمعة، كان إذا قرأ القرآن يبكي، فتتقصف عليه نساء المشركين وأطفالهم، وكان حين أمَّ المسلمين يبكي، وحين تذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر يبكي، في دموع ترسم للناس رقة وحنانًا، عرفتها محاريب فرسان الليل، فإن اشتد البأس، كانوا هم الرجال.

10- قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ، وَيَا بِلالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيــلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًــا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ   وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[313].

قَالَ- يعني: بلالاً- اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ؛ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا"[314].

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ:"**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**"[315].

قال ابن حجر:" كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا" أخرجهم من رحمتك كما أخرجونا من وطننا"[316].

الوطن؛ هذا المربع الغالي، أحب بلاد الله إلى الله، تحن له أفئدة الصالحين، فيودعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يلقي النظرة الخاتمة؛ فتخرج الكلمات كما العَبَرَات تفيض رقةً وحنانًا" **وَاللَّه إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّه، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّه إِلَى اللَّه، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**" ويقول:" **مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**".

الوطن الذي يدعو إلى حبه النبي الكريم:"**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**" فتحب مكة، وتحب المدينة، إذ حب الوطن علامة من علامات المروءة، ومظهر من مظاهر الرجولة والكمال، فإذا انضاف إلى ذلك قداسة الوطن ومكانه عند الله، كان الحنين إليه أمرًا محمودًا في الغاية.

الوطن؛ الذي يتذكر بلال مرابعه، وأسواقه، وعيونه؛ في أبيات تفيض بمعاني الشوق والحب:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيــلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًــا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ   وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[317].

ويتذكره ابو بكر:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ، وأنا الغريب.

الوطن، بحدوده الكبيرة العظيمة؛ بامتداده حيث تمتد المآذن والمساجد والتسابيح، بحدوده التي بلغتها سنابك خيل الرسالة، لا بحدود الساسة المخنثين، الذين يرون الوطن سوقًا منه يسترزقون، وفيه يرتعون.

والوطن في عرف الإسلام غير الذي يعرفه الناس اليوم، إنه الوطن الذي لا تحبسه الحدود والجوازات، ولا تعيق أبناءه أمزاق الجاهلية المعاصرة، فلا دعار طيء يسعرون البلاد، ولا الأجهزة وآلات التدقيق في الأفئدة والقلوب.

الوطن نسمة البرد في الليل الملتهب، صار في بلادنا المسلمة سوطًا يضرب ويلهب، وسجنًا يقيد ويقعد، وكلب حراسة يلحق ويحصي، حتى طار خيرة أبناء البلاد إلى الغربة لدى الأغراب، وأصبحت الإقامة في الوطن رهن العذابات والملاحقات، فاللهم أحسن خلاص أوطاننا.

11- قال ابن حجر معقبًا على قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هذا الحمال لا حمال خيبر، هذا أبر ربنا وأطهر":" مناسبة الشعر المذكور للحال المذكور واضحة، وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه، خصوصًا الرجز في الحرب، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة، لما فيه من تحريك الهمم، وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة"[318].

قلت: وهذا موافق لما يراه الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال:" أما غناء الحرائر للرجال بالدف، فمشروع في الأفراح؛ كحديث الناذرة وغناها مع ذلك"[319].

وحديث الناذرة حديث حسن؛ رواه عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، **أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ** النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ **أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدُّفِّ**، قَالَ:" **أَوْفِي بِنَذْرِكِ**" قَالَتْ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَذْبَحَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا؛ مَكَانٌ كَانَ يَذْبَحُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ:" **لِصَنَمٍ؟**" قَالَتْ: لا قَالَ:" **لِوَثَنٍ؟**" قَالَتْ: لا قَالَ:" **أَوْفِي بِنَذْرِكِ**"[320].

وله شاهد صحيح من رواية بُرَيْدَةَ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ **جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ**: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ سَالِمًا **أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى**، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلا فَلا فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ**" فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ؛ فَأَلْقَتْ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ؛ إِنِّي كُنْتُ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ**

عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتْ الدُّفَّ"[321].

فالنشيد في المعركة، وفي العمل، وفي البناء، وفي الزراعة والحصاد ونحوها، مما يجوز" لما فيه من تحريك الهمم، وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة"[322] كما أفاد ابن حجر رحمه الله تعالى.

ويرى شيخنا الألباني رحمه الله تعالى قَصْرَ النشيد ونحوه، على الأعراس والأعياد فحسب[323] لكن حديث الناذرة– وهو حديث صحيح من رواية بريدة، وحسن من رواية عبدالله بن عمرو– يدل على جواز النشيد ونحوه في استقبال العائدين من الغزو، وحديث بناء المسجد دليل على جوازه في العمل والبناء.

واستقراء النصوص جميعها؛ دلَّ على جوازه في مواطن متعددة، جامعها الفرح والسرور، وهو ما نَصَّ عليه ابن تيمية رحمه الله تعالى وسماه:" الأفراح".

قال شيخنا الألباني رحمه الله تعالى:" يَرِدُ في كلام بعض العلماء ما يشير إلى جواز الضرب على الدفِّ في الأفراح، هكذا يطلقونها، وفي الختان، وقدوم الغائب، وأنا شخصيًّا لم أجد ما يدل على ذلك مما تقوم به الحجة"[324] وأتى رحمه الله تعالى بحديث الناذرة ثم قال:" وقد ترجم لحديث بريدة هذا جَدُّ ابن تيمية رحمهما الله تعالى في" المنتقى من أخبار المصطفى" بقوله:" باب ضرب النساء بالدفوف لقدوم الغائب وما في معناه" ثم قال شيخنا:" وفي الاستدلال بهذا الحديث على ما ترجم له وقفة عندي، لأنها واقعة عين لا عموم لها، وقياس الفرح بقدوم غائب مهما كان شأنه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قياس مع الفارق كما هو ظاهر، ولذلك كنت قلت في الصحيحة[325]:" وقد يُشكل هذا الحديث على بعض الناس، لأنَّ الضرب بالدف معصية في غير النكاح والعيد، والمعصية لا يجوز نذرها ولا الوفاء بها.

والذي يبدو لي– الكلام لشيخنا الألباني– في ذلك أنَّ نذرها لما كان فرحًا منها بقدومه عليه السلام صالحًا سالمًا منتصرًا، اغتفر لها السبب الذي نذرته لإظهار فرحها، خصوصية له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون الناس جميعًا، فلا يؤخذ منه جواز الدف في الأفراح كلها، لأنه ليس هناك من يفرح به كالفرح به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولمنافاة ذلك

لعموم الأدلة المحرمة للمعازف والدفوف وغيرها؛ إلا ما استثني كما ذكرنا آنفا" ثم ذكر شيخنا رحمه الله تعالى كلام الإمام الخطابي قال:" ضرب الدف ليس مما يعد في باب الطاعات التي يتعلق بها النذور، وأحسن حاله أن يكون من باب المباح، غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة من بعض غزواته، وكانت فيه مساءة الكفار، وإرغام المنافقين، صار فعله كبعض القرب التي هي من نوافل الطاعات، ولهذا أبيح ضرب الدف"[326].

قال شيخنا:" قلت: ففيه إشارة قوية إلى أنَّ القصة خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي حادثة عين لا عموم لها، كما يقول الفقهاء في مثيلاتها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الباحث: وهذا الذي قاله شيخنا، لو كان معه مخصص لكان مسوغاً وجيهًا، أما وقد فقد المخصص فالأمر على عمومه، فالدف والنشيد والغناء في مطلق الأفراح جائز، كما نص على ذلك الحديث واستدل به ابن تيمية الجد، والحفيد، وغيرهما والله تعالى أعلم.

12- ويلاحظ من مظاهر الحضارة في الهجرة.

كتابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسراقة؛ فهذه من روائع حضارتنا، فالكتابة وأدواتها حاضرة حتى في هذه الشدة، فعلى الأمة أن تسابق الزمن والأمم، وألا تكون مصدر استهزاء الناس في كل شأنها[327] ومثله أيضًا: الإداوة، والفراش، والخرقة، وتبريد اللبن وتنقيته، فهي مشاهد حضارية تدل من جهة على رقي الأمة المسلمة، حتى في الشدة والملاحقة، ومن جهة أخرى تلفتنا إلى حرص أبي بكر على راحة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بطريقة لا تخطر ببال أحد غيره، رَضِي الله عَنْه.

13- وتبقى الهجرة المباركة، للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حكاية عطرة، وبلسمًا مداويًا، يلقى الهيم بحب وكرامة، فكلما مرت السنون ثقيلة، تذكر الناس الهجرة النبوية، وتذكروا أخبار المهاجرين الأُوَل؛ قَالَ خَبَّابٌ" هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّه، وَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّه، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؛ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا نُكَفِّنُهُ فِيهِ إِلا نَمِرَةً،

كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، فَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ بِهَا، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ إِذْخِرٍ"[328] رَضِي الله عَنْه.

14- وصارت الهجرة مقياس تفاضل الناس وتفاخرهم، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ**" قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ، مَا مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [329] فَكُتِبَت لأَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ، وصار إمامُ" القَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءةً، فَإِنْ كَانُوا فِي القِرَاءةِ سَوَاءً، **فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً**"[330] والْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

وحين يفرض عمر فروض الناس، يقدم المهاجرين، ثم تراه رَضِي الله عَنْه يفرق بين من هاجر بنفسه، ومن هاجر به أبوه.

عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضَ لابْنِ عُمَرَ ثَلاثَةَ آلافٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ، يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ"[331].

إنها الهجرة، تاريخ الأمة وفجرها المستعرض في السماء صادقًا، وشجرتها الممتدة في العنان تطاول السحاب، وصخرتها التي تزلزلت الجزيرة وما تحركت قيد أنملة، إنها الهجرة، وإنهم المهاجرون.

الخاتمة

الحمد لله بحمده تتم الأعمال وتختم، والصلاة والسلام على النبي الخاتم، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد.

فقد قام الباحث في هذه الدراسة بمحاولة للتأسيس لباب مهم من أبواب تحليل السيرة النبوية، وهو فيه مسبوق بتحليل للسيرة كثير، لكنه لم يقف على من يحاول

التأسيس والتقعيد، أو على من يضع اللبنة لطالب العلم، حتى يقف على طرق تحليل نصوص السيرة النبوية.

وحاول الباحث أن يناقش بعض القضايا التي تواجه من يحلل النصوص، وأن يجد الإجابة عليها.

وعمل الباحث هنا محاولة، وقبولها على الله رب العالمين، وحسبه أنَّه يكتب في باب لا يجد له فيه مصدرًا ينقل منه، والله الموفق الهادي.

الحواشي

---

[1] عثمان بن جِنِّي وفاته سنة:302 وقيل:322.

[2] الخصائص134/2.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي مولده سنة: مائة، ووفاته سنة: خمس وسبعين ومائة، صاحب معجم" العين" يأتي فيه بالكلمة مقلبة في وجوهها الستة، لكن لا يجمعها على المعنى الواحد، وكتاب"العين" أول معجم عرفته البشرية، فلم يسبقه إليه سابق، وضعه لبيان معاني كلام العرب، وابتدع له طريقة فريدة في الترتيب، لم يسبقه إليها أحد، ولم يتبعه عليها أحد.

" سمى الخليل كتابه" العين" وهذا يعني أنه ابتدأ بصوت العين، واتبع نظامًا خاصًا... فالأصوات اللغوية عند الخليل على النحو الآتي: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط ل ت، ظ ث ذ، ر د ن، ف ب م، و ا ي همزة.

وكان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أب، أع، أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم.

[4] يعني: أنَّ الخليل رحمه الله أراد من تقليب الكلمة إحصاء الكلمات العربيات حتى لا تفوته كلمة منها.

[5] فصول في فقه العربية لأستاذنا رمضان عبد التواب ص:296.

[6] انظر: الخصائص لابن جني 2/135-163.

[7] الخصائص 138/2.

[8] الخصائص134/2.

[9] أبو الحسين؛ أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة:395.

[10] الصاحبي ص:35-36.

[11] من مقدمة معجم مقاييس اللغة 39/1 وبعد هذه الإحالة على المعجم لا يستعمل الباحث هذه الطبعة، وإنما يستعمل طبعة المجلد الواحد.

[12] معجم المقاييس لابن فارس ص: 194.

[13] معجم المقاييس لابن فارس ص: 194
[14] الشعراء: الآية 195
[15] معجم المقاييس لابن فارس ص: 200
[16] معجم المقاييس لابن فارس ص: 201
[17] معجم المقاييس لابن فارس ص: 202
[18] معجم المقاييس لابن فارس ص: 203
[19] معجم المقاييس لابن فارس ص:203
[20] معجم المقاييس لابن فارس ص: 203
[21] معجم المقاييس لابن فارس ص: 204
[22] معجم المقاييس لابن فارس ص:205
[23] معجم المقاييس لابن فارس ص: 224
[24] معجم المقاييس لابن فارس ص:225
[25] معجم المقاييس لابن فارس ص: 223
[26] معجم المقاييس لابن فارس ص: 235
[27] معجم المقاييس لابن فارس ص: 236
[28] معجم المقاييس لابن فارس ص:203
[29] معجم المقاييس لابن فارس ص: 203
[30] انظر مبحث التصاقب عند ابن جني في الخصائص 2/145-152.
[31] الفرقان: الآية 64.
[32] الفروق لأبي هلال العسكري ص:136.
[33] الأنفال: الآية 34.
[34] الفروق ص:142.
[35] الفروق ص:258.
[36] انظر: فقه اللغة للثعالبي ص:114.
[37] انظر: فقه اللغة للثعالبي ص:59.
[38] الحديد: الآية 13
[39] وفاته في حدود سنة:425.
[40] ذكر خير الدين الزركلي في الأعلام2/254 وفاته سنة:478.
[41] كانت وفاته رحمه الله سنة:817.

[42] معجم المقاييس لابن فارس ص: 837.

[43] يوسف: الآية 94

[44] الدخان: الآية 40

[45] الراغب في المفردات ص: 638 بتصرف.

[46] الدَّامَغَاني في قاموس القرآن ص: 360.

[47] يوسف: الآية 111

[48] الأعراف: الآية 52

[49] الأعراف: الآية 133

[50] يوسف: الآية 94

[51] الدخان: الآية 40

[52] ص: الآية 20.

[53] البقرة: الآية 233.

[54] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة546 وكتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 313/1.

[55] فصلت: الآية 12

[56] طه: الآية 72

[57] معجم المقاييس ص: 893

[58] الإسراء: الآية 23

[59] الإسراء: الآية 4

[60] غافر: الآية 20

[61] رواه البخاري ص:1123 رقم: 5729 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ، لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ؛ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ...فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ!! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ".

[62] مريم: الآية 21

[63] الراغب في المفردات ص: 676

[64] الدَّامَغَاني في قاموس القرآن ص: 383-385

---

[65] الإسراء: الآية 23

[66] القصص: الآية 44

[67] الإسراء: الآية 4

[68] النساء: الآية 103

[69] الجمعة: الآية 10

[70] طه: الآية 72

[71] الزخرف: الآية 77

[72] القصص: الآية 15

[73] يوسف: الآية 41

[74] البقرة: الآية 210

[75] مريم: الآية 21

[76] القصص: الآية 29

[77] القصص: الآية 28

[78] الزمر: الآية 69

[79] فصلت: الآية 12

[80] أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة:606.

[81] النهاية لابن الأثير 69/4

[82] النهاية مادة شرف.

[83] أورده ابن الأثير في النهاية، ولم أقف عليه.

[84] صحيح البخاري رقم: 4064.

[85] الانفطار: الآية 1

[86] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، البخاري رقم:4837

[87] الزخرف: الآية 27.

[88] رواه البخاري رقم:247 والرجل الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نفسه راوي الحديث:البراء بن عازب

[89] انظر: لسان العرب مادة فطر بتصرف، 3432/5-3435.

[90] انظر مفردات ألفاظ القرآن ص: 640 والآية من سورة الروم: الآية 30

[91] الفتح 255/7.

[92] مفردات ألفاظ القرآن ص: 640.
[93] الفتح 255/7.
[94] العنكبوت: الآية 2
[95] صحيح البخاري رقم: 5645.
[96] فتح الباري شرح الحديث رقم: 5645.
[97] ذكره الحافظ في الفتح في شرحه للحديث رقم: 5645 ورواته ثقات وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي وحسنه.
[98] ذكره الحافظ في الفتح في شرحه للحديث رقم: 5645 وقال: أخرجه الطبراني بسند حسن.
[99] الفتح في شرح الحديث رقم: 5645.
[100] سنن الترمذي رقم: 2398 قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترمذي 1956.
[101] الفتح كتاب المرضى بَاب أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ
[102] تحفة الأحوذي رقم: 2398.
[103] تحفة الأحوذي رقم: 2398.
[104] يوسف: الآية 56
[105] صحيح البخاري رقم: 3852.
[106] قاله الحافظ في الفتح في شرح الحديث رقم: 3852 بتصرف يسير.
[107] قاله الحافظ في الفتح في شرح الحديث رقم: 3852 بتصرف.
[108] قاله الحافظ في الفتح في شرح الحديث رقم: 6943.
[109] من كلام الإمام حسن البنا في رسائله ص:356.
[110] التوبة: الآية 80
[111] التوبة: الآية 84
[112] رواه البخاري رقم: 4671.
[113] صحيح البخاري رقم:4670.
[114] التوبة: الآية 84
[115] التوبة: الآية 80
[116] الأنعام: الآية 95
[117] التحرير والتنوير 95/1.
[118] الطور: الآية 16

[119] التوبة: الآية 80

[120] التوبة: الآية 80

[121] التحرير والتنوير 276/5-279.

[122] رواه البخاري رقم: 3904.

[123] سورة النصر، الآية الأولى.

[124] سورة النصر، الآية الأولى.

[125] رواه البخاري رقم:4970.

[126] رواه البخاري رقم: 2704.

[127] انظر مثلاً: تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري رحمه الله.

[128] سورة التغابن الآية15.

[129] رواه النسائي رقم:1413 بإسناد صحيح.

[130] انظر الحديث في مسلم رقم:2942.

[131] رواه أحمد في مسنده رقم: 16509 وهو حديث صحيح.

[132] رواه مسلم رقم:135.

[133] رواه أحمد بإسناد صحيح رقم:20608.

[134] رواه البخاري رقم: 3595.

[135] رواه مسلم رقم:2913.

[136] قاله النووي في شرح الحديث20/18 وكان مولد النووي سنة:631 ووفاته رحمه الله سنة:676.

[137] انظر الفتح280/6.

[138] رواه مسلم رقم: 157.

[139] الصحيحة10/1 الحديث رقم:6.

[140] صحيح البخاري رقم: 3622 ومسلم رقم: 2272 واللفظ له عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِي الله عَنْه.

[141] الفتح رقم: 3906 بتصرف.

[142] قال الحافظ ابن حجر رقم: 3906:" بَيْنَ لابَتَيْنِ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ" هذا مدرج في الخبر، وهو من تفسير الزهري، والحَرَّةُ، أرض حجارتها سود".

[143] صحيح البخاري رقم: 3906 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

[144] صحيح مسلم رقم: 2473 عن أبي ذر رَضِي الله عَنْه.

[145] الجن: الآية 26 - 27

[146] صحيح مسلم رقم: 177 من كلام عائشة رَضِي الله عَنْها.

[147] الفتح 220/1.
[148] العنكبوت: الآية 26
[149] صحيح البخاري رقم: 3924 من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ.
[150] صحيح ابن حبان 14/ 188 رقم:6281 من حديث البراء، وإسناده صحيح.
[151] صحيح البخاري رقم: 3924 من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وأحمد بن حنبل بلفظه، رقم: 18096.
[152] صحيح البخاري رقم: 3925من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ.
[153] صحيح ابن حبان 183/14 رقم: 6279 بإسناد صحيح.
[154] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.
[155] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3507 عن ابن عباس بإسناد صحيح.
[156] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3241 وحسنه ابن حجر في الفتح 236/7.
[157] الأنفال: الآية 30.
[158] صحيح البخاري رقم: 2138 من حديث عائشة.
[159] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3052 عن ابن عباس.
[160] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3241 وحسنه ابن حجر في الفتح 236/7.
[161] يعني: يتلوى ويتقلب.
[162] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3052 عن ابن عباس بإسناد حسن.
[163] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3052 عن ابن عباس بإسناد حسن، يحتمل أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج وحده كما تقول هذه الرواية، وفي سنن الترمذي رقم: 3925 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ، يقول:" وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ" وهذا لا يدل على الانفراد، وإن احتمله، ويبقى كلام عائشة الشاهد العيان فيصلاً، (البخاري:4093) فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَرَكِبَا فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا الْغَارَ" فحديثها أصح، وهو مقدم على حديث ابن عباس، والله أعلم.
[164] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3241 وحسنه ابن حجر في الفتح 236/7.
[165] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3052 عن ابن عباس بإسناد حسن.
[166] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3241 وحسنه ابن حجر في الفتح 236/7.
[167] في الفتح رقم: 3906:" نَحْرُ الظَّهِيرَةِ: أول الزوال، وهو أشد ما يكون في حرارة النهار، والغالب في أيام الحر القيلولة فيها".
[168] في الفتح رقم: 3906 " أشار بذلك إلى عائشة" وهي أهله من حيث عقده عليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه سبق في مبحث وفاة خديجة أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عقد على عائشة.

[169] في الفتح رقم: 3906:" أريد المصاحبة".

[170] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة، في الفتح رقم: 3906 "وَرَقُ السَّمُرِ " ويقال: السَّمُرُ شجرة أم غيلان، وقيل كل ماله ظل ثخين، وقيل : السَّمُرُ ورق الطلح والخبط بفتح المعجمة والموحدة ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر.

[171] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة.

[172] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[173] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة، يذكر ابن القيم رحمه الله تعالى (الزاد 134/1) أنَّ النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاجر على القصواء، والصواب ما أثبتته رواية البخاري.

[174] الفتح 3906:" صَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً: أي زادا في جراب، لأن أصل السفرة في اللغة الزاد الذي يصنع للمسافر، ثم استعمل في وعاء الزاد، ومثله المزادة للماء، فاستعملت السفرة في هذا الخبر على أصل اللغة.

[175] روى البخاري رقم:2979 عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلا لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلا نِطَاقِي، قَالَ: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ فَارْبِطِيهِ بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ وَبِالآخَرِ السُّفْرَةَ، فَفَعَلْتُ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ" وانظر حديث مسلم رقم: 2545 وفيه قول فاطمة للحجاج:" أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الآخَرُ؛ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لا تَسْتَغْنِي عَنْهُ".

[176] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة.

[177] قال في معجم البلدان 294/2:" الْحَزْوَرَةُ: الرَّابِيَةُ الصغيرة، وجمعها حَزَاوِرُ، وكانت الْحَزْوَرَةُ سوق مكة، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه".

[178] سنن الترمذي رقم: 3925 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ ابْنِ حَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فذكره، بإسناد صحيح، قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ وقال شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي: صحيح.

[179] سنن الترمذي رقم: 3926 عن ابن عباس، وَقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وقال شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي: صحيح.

[180] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة.

[181] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[182] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3241 وحسنه ابن حجر في الفتح 236/7.

[183] صحيح مسلم رقم: 2381 بلفظه، والبخاري رقم: 3653 عن أنس.

[184] مسند أحمد بن حنبل رقم: 3241 وحسنه ابن حجر في الفتح 236/7.

[185] الفتح 3906:" مثل البائت، يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس".

[186] الفتح 3906:" يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد".

[187] عند البخاري رقم: 4093 هو:أَخُو عَائِشَةَ لأُمِّهَا.

[188] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة وفي الفتح رقم 3906:" مِنْحَةٌ مِنْ غَنَمٍ: تطلق على كل شاة".

[189] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة.

[190] صحيح البخاري رقم:3906 عن عائشة والرِّسْلُ؛ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا وفي الفتح رقم 3906:"في رسل:اللبن الطري، ورضيفهما:اللبن المرضوف، أي التي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته"

[191] أي: يأتي إليهما غُدْوَةً، فيعطيهما لبن الصباح.

[192] المعنى:

[193] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة.

[194] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[195] في نفس الرواية وَالْخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ، وهي مدرجة من كلام الزهري، قاله في الفتح في شرح 3906 وقال:" قال الأصمعي: إنما سمي خِرِّيتًا لأنه يهدي بمثل خَرْتِ الإبرة أي ثقبها، وقال غيره قيل له ذلك لأنه يهتدي لأخرات المفازة وهي طرقها الخفية".

[196] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[197] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[198] صحيح البخاري رقم: 4093 عن عائشة، وفي الرواية:" قُتِلَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ" رَضِي الله عَنْه.

[199] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[200] رواه الحاكم في المستدرك 9/3 رقم: 4272 وقال: صحيح على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، وصححه ابن حجر في الفتح شرح الحديث 3906 قال: إسناده صحيح.

[201] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[202] في الفتح رقم: 3906 آنِفًا: في هذه الساعة، وأَسْوِدَةً: وأشخاصًا.

[203] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[204] الفتح رقم 3906:" وخفضت: أي أمسكه بيده وجر زجه على الأرض، فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه؛ لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة".

[205] في الفتح رقم 3906:" عُثَان: دخان، قال معمر : قلت لأبي عمرو بن العلاء ما العثان ؟ قال : الدخان من غير نار وذكر أبو عبيد في غريبه قال: وإنما أراد بالعثان الغبار نفسه، شبه غبار قوائمها بالدخان".

[206] في الفتح 3906:" مائة من الإبل".

[207] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[208] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[209] صحيح ابن حبان 188/14 رقم: 6281 عن البراء بإسناد صحيح.

[210] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[211] صحيح ابن حبان 188/14 رقم: 6281 عن البراء بإسناد صحيح.

[212] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[213] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[214] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[215] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[216] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[217] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس، وقَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ" والمَسْلَحَةُ: الحراسة، أي حارسًا له. ذكره في الفتح رقم: 3906.

[218] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[219] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[220] صحيح البخاري رقم: 3918 عن البراء.

[221] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[222] صحيح البخاري رقم: 3652 عن البراء.

[223] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[224] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[225] صحيح البخاري رقم: 3652.

[226] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[227] صحيح البخاري رقم: 3918.

[228] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[229] صحيح البخاري رقم: 3652.

[230] دلت رواية مسلم 2009 على وقوع قصة الراعي بعد قصة سراقة:" فَأَتْبَعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ فَدَعَا عَلَيْهِ، قَالَ فَعَطِشَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرُّوا بِرَاعِي غَنَمٍ".

[231] قال النووي في شرح حديث رقم: 2009: المراد بالمدينة هنا مكة" قلت: وفي رواية البخاري رقم: 3652: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ".

[232] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[233] صحيح البخاري رقم: 3652.

[234] صحيح مسلم رقم: 2009 عن البراء.

[235] صحيح البخاري رقم: 3652.

[236] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[237] صحيح البخاري رقم: 3906.

[238] صحيح البخاري رقم: 3906.

[239] صحيح مسلم رقم: 2009 في الفتح 3906:" الأكثر أنه قدم نهارًا، ووقع في رواية مسلم ليلا، ويجمع بأنَّ القدوم كان آخر الليل، فدخل نهاراً".

[240] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[241] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[242] الفتح 3911 ورواه البخاري في التاريخ بإسناد صحيح.

[243] في الفتح 3906:"أوفى: طلع إلى مكان عال فأشرف منه،والأطم:الحصن، ويقال كان بناءً من حجارة كالقصر".

[244] في الفتح رقم: 3906" مبيضين: أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير، ومعنى يزول بهم السراب: يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له، وقيل : معناه ظهرت حركتهم للعين".

[245] في الفتح 3906:" هذا جدكم: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه".

[246] فلعل صوت اليهودي سبق الأعرابي المبعوث، أو أن الخبر ورد من كليهما، والله تعالى أعلم.

[247] صحيح البخاري رقم: 3906.

[248] مسند أحمد بن حنبل رقم: 12905 بسند صحيح.

[249] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[250] في الفتح 3906:" كانت منازلهم بقباء، وهي على فرسخ من المسجد النبوي بالمدينة".

[251] صحيح البخاري رقم: 3906 وفي الفتح 3906:" وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول: هذا هو المعتمد، وثبت كذلك في أواخر صحيح مسلم، وفي رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق " قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول".

[252] في الفتح 3906:" يعني: مسجدَ قباء" وقال أيضًا:" 3906:" فهو أول مسجد بني بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه بأصحابه جماعة ظاهرًا، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة، والجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا وهو ظاهر الآية. قلت: الصواب ما روى مسلم 1398 عن أَبِي سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ ثُمَّ قَالَ:" **هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**" لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ" قَالَ فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ. قال النووي في شرحه:" **هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**" لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ" هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى؛ المذكور في القرآن، وَرَدٌّ لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء، وقال النووي أيضًا:" بَاب بَيَانِ أَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى هُوَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ" من كتاب الحج بمسلم، والنصوص في المسألة متعارضة، لكن الأقوى أنه مسجد المدينة.

[253] صحيح البخاري رقم: 3906.

[254] صحيح البخاري رقم: 3906 وعند البخاري أيضًا رقم: 428 عن أنس:" قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ".

[255] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[256] صحيح مسلم رقم: 2009.

[257] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[258] مسند أحمد بن حنبل رقم: 13649 عن أنس بسند صحيح.

[259] رواه الترمذي رقم: 3618 وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: 2861.

[260] مسند أحمد بن حنبل رقم: 18096 عن البراء بسند صحيح.

[261] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[262] صحيح البخاري رقم: 3911 عن أنس.

[263] الفتح 7/ 312: " المربد: الموضع الذي يجفف فيه التمر، وقال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم، وبه سمي مربد البصرة لأنه كان موضع سوق الإبل".

[264] كان أسعد بن زرارة أول من صلى بالمسلمين الجمعة في المدينة في هذا الموضع قبل أن يتخذه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجدًا، انظر دليل ذلك عند أبي داود رقم: 1069 بسند حسن.

[265] في صحيح البخاري رقم:428 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:" وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ:" **يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا**" قَالُوا: لا وَاللَّهِ لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلا إِلَى اللَّهِ" وفي الحديث نفسه وصف أنس بن مالك البناء قَالَ أَنَسٌ:" فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ:" **اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلا خَيْرُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ**".

[266] دل حديث أنس أنهم" جَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ" صحيح البخاري رقم: 428.

[267] في الفتح 313/7:" اللَّبِنُ: الطوب المعمول من الطين الذي لم يحرق".

[268] في الفتح 7/ 312 " هذا الحِمَالُ: هذا المحمول من اللَّبِنِ، أَبَرُّ عند الله، أي: أبقى ذخرًا، وأكثر ثوابًا، وأدوم منفعةً، وأشد طهارةً، من حمال خيبر؛ التي يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك، ومناسبة الشعر المذكور للحال المذكور واضحة، في الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصا الرجز في الحرب، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة، لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة".

[269] صحيح البخاري رقم: 3906.

[270] صحيح مسلم رقم: 2549 وقد تكرر مثله في السنة، وانظر خاصة مسلم:1602 فيه أثر البيعة، والحرص على عدم إقالتها.

[271] سنن أبي داود رقم: 2645 بسند صحيح.

[272] النساء: الآية 97

[273] صحيح البخاري رقم: 4596.

[274] الحج: الآية 39

[275] سنن الترمذي رقم: 3171 وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[276] من كلمات سيد رحمه الله في الظلال 1656/3.

[277] زاد المعاد 642/3.

[278] رواه الترمذي رقم: 3618 وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: 2861.

[279] محمد: الآية 13.

[280] سنن الترمذي رقم:3171 وقال:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم:2535

[281] الحج: الآية 39.

[282] سنن الترمذي رقم:3171 وقال:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم:2535

[283] عند مسند أحمد بن حنبل رقم: 6607 بإسناد حسن:" سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلا؟ قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لا بَلْ مَدِينَةُ هِرَقْلَ أَوَّلا**" وقد فتح الله قُسْطَنْطِينِيَّةُ، وهي استنبول، وللفتح الآخر رجاله القادمون بإذن الله تعالى.

[284] صحيح مسلم رقم: 1822 في رواية مسلم:" بَيْتَ كِسْرَى أَوْ آلِ كِسْرَى" وهي تفسير مدرج من كلام الراوي والله أعلم، وعلى كُلٍ، ففي مطلق اللفظ بشارة، لا سيما أن بيت كسرى لم يكن يسمي بالأبيض، والعصيبة تصغير عصبة، وهي الجماعة، فهل كان الفاتحون لبيت كسرى عصيبة، أم جيوش جرارة من الشام والحجاز واليمن ومصر والعراق؟ والحديث والله اعلم بشارة كسر طوق الجاهلية المعاصرة، أمريكا الكفر والإلحاد، وما ذلك على الله بعزيز، ويشهد لهذا الذي يراه الباحث، قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صحيح مسلم رقم: **1918)**:" **سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ**" والأَرَضُونَ، جمع أراضي، كالولايات؛ جمع ولاية، والله تعالى أعلم.

[285] الفتح: الآية 28.

[286] آل عمران: الآية 95.

[287] صحيح البخاري رقم: 3934.

[288] التوبة: الآية 108

[289] الفتح رقم: 3934 .

[290] زاد المعاد 142/1.

[291] الفتح رقم: 3906.

[292] في مختار الصحاح 257:" المُحَاقُ من الشهر: ثلاث ليال من آخره".

[293] الفتح 314/7.

[294] في الفتح رقم: 3906 آنِفًا: في هذه الساعة، وأَسْوِدَةً: وأشخاصًا.

[295] صحيح البخاري رقم: 3906 عن عائشة.

[296] الفتح رقم 3906:" وخفضت: أي أمسكه بيده وجر زجه على الأرض، فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه؛ لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة".

[297] التوبة: الآية 40

[298] انظر كتاب وصف مصر؛ الجزء الخاص بالعرب في ريف مصر وصحراواتها، وفيه كلام نفيس عن الجمال، وذكر في الكتاب أنَّ بعض الفرنسيين خرج في سفرة أسبوعًا كاملاً على جمل لم يذق الماء إلا بعد الوصول300/2-301.

[299] كانت ناقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تسبق، انظر صحيح البخاري رقم: 6508" كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وكَانَتْ لا تُسْبَقُ".

[300] في زاد المعاد 130/1: "كان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسعة أسياف... وكان سيفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذو الفَقَار تنفله يوم بدر، وهو الذي أُري فيه الرؤيا، ودخل يوم الفتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة" وانظر الترمذي 1561 وحسنه شيخنا الألباني في صحيح الترمذي رقم: 1260 فيه خبر سيفه ذي الفقار.

[301] التوبة: الآية 46

[302] النووي في شرح صحيح مسلم: 2009.

[303] آل عمران: الآية 173

[304] آل عمران: الآية 139

[305] التوبة: الآية 40

[306] آل عمران: الآية 173

[307] غافر: الآية 51.

[308] التوبة: الآية 40.

[309] الأنفال: الآية 45.

[310] الأنفال: الآية 9

[311] سنن أبي داود رقم: 2540 وقال شيخنا الألباني في صحيح سنن أبي داود 2215 :" صحيح".

[312] الشعراء: الآية 62 – 63.

[313] صحيح البخاري رقم: 3926.

[314] صحيح البخاري رقم: 1889.

[315] صحيح البخاري رقم: 3926.

[316] الفتح 263/7.

[317] صحيح البخاري رقم: 3926.

[318] الفتح: 7/ 312.

[319] فتاوى ابن تيمية 553/29.

[320] سنن أبي داود رقم: 3312 قلت: إسناده حسن، وقال شيخنا الألباني في صحيح سنن أبي داود 636/2:"إسناده حسن صحيح".

[321] رواه الترمذي 316/4 واللفظ له وقال أَبُو عِيسَى:" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ، وَفِي الْبَاب عَنْ عُمَرَ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَائِشَةَ" ورواه أحمد رقم: 22480 قال شيخنا الألباني:" إسناد صحيح على شرط مسلم" الصحيحة 142/4.

[322] الفتح: 7/ 312.

[323] انظر كلام شيخنا مفصلاً في كتابه القيم:" تحريم آلات الطرب" خاصة ص121-125.

[324] تحريم آلات الطرب121.

[325] 142/4.

[326] معالم السنن 55/4.

[327] انظر الكتاب الفضيحة الذي سطرته يراع الباحث الكبير محمد حسنين هيكل:" المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل" لتكتشف الحقيقة المُرَّةَ، أنَّ زعماء العرب جعلونا مصدر هزء العالم كله؛ بتهافتهم وتفاهتهم، وحرصهم على الألقاب والنياشين والأموال، وتلاعبهم بقضايا الأمة الكبرى في هذا السبيل، واتصالاتهم بيهود منذ عهد عدو الله"هرتزل" قبل قيام الدولة المُتَبَّرَةِ، بأكثر من نصف قرن من الزمان، واستمرارهم بهذه الاتصالات في اللحظة التي كان الدم يكسو الأرض بشقائق النعمان والحنون، ويرويها بالمهج من يافا وحيفا، والمجدل والرملة، ويبنة وطبريا، وصفد وعكا، والناصرة وبيسان، فانظر، وتأمل ووازن بين نَصِّ الدين وصورته، وبين الذين تنكبوا السبيل وصارو بالأمة إلى هاوية الضياع، ثم تأمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه، وقد أعدا للهجرة كلَّ شيء، حتى الدواة والقلم والرقاع.

[328] صحيح البخاري رقم: 3913.

[329] البخاري رقم: 4231، ومسلم رقم: 2503 واللفظ له.

[330] سنن أبي داود رقم: 582.

[331] صحيح البخاري رقم: 3912.